

# جولة بين كتب غربية

محمد خير رمضان يوسف

دار ابن حزم



## هَذَا الْكِتَابُ

- هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ مَجَانِينَ لَطَقُوا بِكَلَامٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْعُقَلَاءُ حَتَّى تَمْسَى بَعْضُهُمْ أَنَّ يَكُونُ مِثْلَهُمْ ۱؟
  - وَأَنَّ هُنَاكَ سَبْعِينَ اسْمًا لِلْكَلْبِ نَظَّمَهَا الْإِمَامُ السَّيُوطِيُّ فِي الْجُزْءِ لَطِيفَةٍ حَتَّى لَا تُلْحَقَهُ مَعَرَّةُ الشَّاعِرِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِيُّ ۱؟
  - وَأَنَّ هُنَاكَ مَنْ فَضَّلَ الْكَلَابَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ لَبَسَ الثِّيَابَ وَأَوْرَدَ بَرَاهِينَ وَأَدَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ ۱؟
  - وَأَنَّ هُنَاكَ مَنْ أَلْفَ مَعْجَمًا لُغَوِيًّا يَبْحَثُ فِي أَسْمَاءِ مَا يَبْقَى مِنَ الْأَشْيَاءِ ۱؟ مِثْلُ : مَا يَبْقَى مِنَ الْمَرْقِ فِي أَسْفَلِ الْقَدْرِ ، وَمَا يَبْقَى فِي إِضْرَعِ مِنَ اللَّبَنِ ، وَمَا يَبْقَى بَيْنَ الْأَسْنَانِ مِنَ الطَّعَامِ ۱؟
- سَيَتَرَأَّى عَنْ هَذَا وَغَيْرِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ ۱

سلسلة الكتب النادرة  
(١)

# حولنا بين الكتب العربية

محمد خير رمضان يوسف

دار ابن حزم

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ  
الطبعة الثانية  
مَزِيدَةٌ وَمُتَقَنَّةٌ  
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

دار ابن خزيمة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - صرّيت: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٨٣١٣٣١

## مقدمة

عزيزي القارئ ..

مَنَلي ومَنَلك في هذا الكتاب، مثل زائر لبلاد بعيدة، رأى فيها عجائب الآثار  
وغرائب المخلوقات، فأراد أن يعرفك بها ويتحفاك بأخبارها !  
.. تاريخنا الإسلامي بحر زاخر هائل.. لم تكتشف أعماقه بعد.. ولم تعرف  
ألوان أصدافه ومرجانه..

وفي جوانبه ترغمي بعض اللآلئ الغريبة هادئة حاملة.. هي بعض ما نقدمه لك في  
هذا الكتاب..

وعلى ظهره تعوم بواخر حاملة معها ثقافة أمة كانت سيدة العالم على مدى  
قرون طويلة..

وعلى سواحلها يرباط حراس يخدمونه ويزيلون عنه غبار الأيام، ليقدموه إلى  
جيل غاب عنه روعة ماضيه.. ويذودون عنه.. ويردون على شبهات الأشقياء ممن  
يريد أن يغمط حقه ويطمس آثاره..

\*\*\*

وفيما أقدمه هنا عرض لنوع خاص من تراثنا، يتلخص في أن مضمونه غريب،  
عجيب.. أو أن اختيار المؤلف لجمع مادته وإفرادها في مؤلف هو الغريب..  
وعلى أبواب هذه الحديقة تلتقي بثلاثة عشر ضيفاً ينتظرون منك الجلوس ليلقوا  
على أسماعك بعض ما اختاروه لك ..  
ولن يكونوا ثقلاء عليك.. فالحديث في أصله مسل.. ولكنه مفيد أيضاً..  
وغفلتته تقلم في ثوب مشوق جذاب..

● يقدم لك أحد الأعلام الكبار في القرن العاشر الهجري «بدر الدين الغزي» مادة لغوية يضمنها الصفات السيئة التي يتصف بها آكل الطعام.. فتعرف من خلالها ماذا يقال لمن يزحف إلى المائدة قبل الجماعة، أو من لا يضم شفثيه عند المضغ، أو يمد عنقه، أو يتحدث بما تشمئز نفوس مؤاكله من سمعه، أو من تكون عينه إلى لقم الحاضرين وأكلهم، أو من يخرج لسانه مثل البقرة.. الخ .

ولا يخفى على القارئ الفائدة من هذا الكتاب النفيس..

● ثم تمر بمؤرخ قد علا رأسه الشيب، وتكاثفت تجاعيد وجهه.. تكاد تسمع أنيه قبل أن تجلس إليه، ثم تقرأ في وجهه الحزن.. وكأن الأسى يتقطر من عينيه.. وقد تعرف أنه «محمد بن المرزبان» أحد التراجم المشهورين في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع الهجري.. يحدثك عن «كلاب» هي أفضل من كثير من الأناسي.. وقد تعارضه في البداية، لكنك ستوافقه عندما ينتهي حديثه معك.. وقد تتذكر أشخاصاً آذوك بلا رحمة، أو اعتدوا على آخرين بدون سبب.. فتسلم بقاعدة «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» ! ولهذا العالم أيضاً كتاب «دمّ النقلاء» و«من غدر وخان» !

● ثم قد تعجب من أديب توفي عام ٢٤٥هـ هو «محمد بن حبيب»، ألف كتاباً أسماه «من نسب إلى أمه من الشعراء» حوى أخبار تسعة وثلاثين شاعراً نسب إلى أمه !

ومن ترجمته ستعرف أن هذا الأديب نفسه لا يُعرف أبوه، وحبيب هي أمه..

كانت مولاة لمحمد بن العباس الهاشمي !

● ثم تمر بالحيمي اليمني، الأديب المغرم بالحمامات.. فيتحفك بأشعار لا أول لها ولا آخر عن الحمامات وخدمها.. وينصحك بما ينبغي أن تفعله وأنت تدخل الحمام أو تخرج منه.. ولا شك أنك ستخرج بنتيجة جديدة، وقد تعدل من بعض عاداتك وأنت في طريقك إلى الحمام، أو بداخله، أو خارج منه ! وهكذا تأتيك بقية العناوين...

● المردفات من قریش، أي اللائي أردفن زوجاً بعد زوج . ذكر المؤلف « أبو الحسن المدائني » ثمان وعشرين امرأة، مع أخبارهن التي لا تخلو من غرابة !  
● تحفة الأبيہ فيمن نسب إلى غير أبيہ . ذكر فيه الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط من نسب إلى اثنين من آباءه وأمهاته، أو إلى غير أبيہ، ثم جدّاته أو أجنبي من ربّاه أو تبنّاه، أو غير ذلك من حالاته .

● عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري ! مجانين ينطقون بالحكمة.. ولهم أخبار عجيبة.. تلتقي فيه بسعدون المجنون وبهلول وعليان وجعيفران الموسوس وحيان بن خيثم المجنون وأبي جوالق وعبدان وغورك وأبي الشريك وريحانة.. وغيرهم .

● المراح في المراح لبدر الدين الغزي، أورد فيه قصصاً وطرائف من سيرة النبي ﷺ والصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

● التبرّي من معرّة المعريّ لجلال الدين السيوطي . وسبب تأليفه لهذا الكتاب أن المعريّ عثر برجل، فقال الرجل: من هذا الكلب ؟ فقال المعريّ: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً. وحتى لا يلحق السبّ الإمام السيوطي - وغيره - قام بنظم أرجوزة فريدة ضمّنها سبعين اسماً للكلب.. وبذلك تبرأ من معرّة المعريّ !

● المختار في كشف الأسرار لعبد الرحمن الجوهري . وهو كتاب عجيب حقاً، وكان الدافع الأول لإعداد هذا الكتاب، حيث كشف فيه المؤلف أسرار مهم كثيرة، ويّين حيل ممتنها وألاعيمهم.. منهم : أدعياء النبوة، المنجمون، الذين يلعبون بالنار، الصيارف، الذين يصبغون بني آدم، أدعياء المشيخة، الذين يمشون بالحملة السليمانية.. الخ .

● المعجم في بقية الأشياء لأبي هلال العسكري. وللقارئ أن يتصوّر إفراد كتاب لغوي يبحث في أسماء ما يتبقى من الأشياء مثل : ما يبقى من المرق في أسفل القدر، آخر السهام الذي يبقى في الكنانة، ما يبقى في الضرع من اللبن،

ما بقى بين الأسنان من الطعام، البقية من الشباب، بقية الروح.. الخ .

● خطبة واصل بن عطاء التي تجنب فيها الرأ . والخطيب هنا هو رأس المعتزلة، ومن أئمة البلغاء والمتكلمين. كان على ما رزقه الله من البيان صاحب عاهة منطقية عرف بها، وهي لشغة شنيعة كانت تقع له في حرف الرأ فتحرجه في ذلك أيما إحراج، فيتجنبها ويأتي إلى سواها من الحروف. وخطبته هذه قالها في حفل جامع حُشد له أقدر الخطباء وأبرعهم.. وقد تجنب فيها حرف الرأ !

● من توفي عنها زوجها فأظهرت الغموم وباحت بالمكتوم، لابن المرزبان. وفيه صور نادرة عبّرت فيها نساء وقيّات لأزواجهن عن مشاعر الحزن والحب والوفاء .

● الروح : في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء لابن قيم الجوزية..

والحديث عن الروح لا يتصوّر أن يكون مسهباً طويلاً.. إلا أن مؤلف الكتاب بحر من العلم، وقد استطاع أن يجمع ما قيل في الروح من مكتبته الضخمة التي حوت جميع أنواع العلوم.. أجاب فيه على واحد وعشرين سؤالاً مما يتعلق بأرواح الأحياء والأموات..

وأخيراً ..

فهذه تجربة أردت بها تشويق القارئ إلى ترائنا..

وتقديم ما هو مسلّ ومفيد في الوقت نفسه..

فهو نوع من أنواع الأدب الممتع الهادف..

ولا يخفى أن ما عرضته هنا ليس بأفضل الموجود..

بل هو انتقاء لبعض ما رأيته في غير ما عناء كبير..



ثم وفقني الله تعالى لإصدار مجموعة أخرى من هذه السلسلة، التي لقيت رواجاً طيباً بين القراء، مما يدل على حبهم لتراثهم، وتشوقهم لأخباره.. وعسى أن يجتمع شمل هذه السلسلة لتصدر معاً، عن دار نشر واحدة، في يوم من الأيام، إن شاء الله. والذي صدر منها حتى إعادة طبع هذا الكتاب:

— كتب نادرة من التراث الإسلامي.

— نوادر الكتب: غريبها وطرiffها.

— الغريب النادر من كتب التراث الإسلامي.

وما زال الخامس تحت الإعداد..

أسأل الله النفع بها، والأجر عليها..

والله الموفق.

١٤١٥ / ٥ / ٢٦ هـ



# آداب المؤاكلة

لبدر الدين الغزي (\*)

يورد المؤلف واحداً وثمانين عيباً من عيوب المؤاكلة.. من علمها كان خبيراً  
بآدابها، والعاقل من يجتنب ذلك طاقته..

ونتقي من هذه العيوب ثلاثة وثلثين عيباً مازال لها - ولغيرها - آثار في  
حياتنا الاجتماعية والحضارية.. نذكر معناها بإيجاز دون القصص والتفاصيل  
الواردة :

الزاحف : هو الذي إذا قُدِّمَ الطعامُ زَحَفَ إلى المائدة قبل الجماعة..  
المَجْجُوع : وهو ربُّ المنزل الذي ينتظر بمؤاكلة إدراك طعامه حتى يجيعهم..  
المدَّمَع : وهو المتناول الطعام الحار ، ولا يصبر عليه إلى أن يبرد ، فيتناول  
اللُقمة.. فتدمع عيناه عند احتراق فمه .

---

(\*) آداب المؤاكلة . بدر الدين محمد الغزي ؛ تحقيق عمر موسى باشا . - دمشق : مجمع اللغة العربية،  
١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ٥٠ ص .

والمؤلف كما في الأعلام للزركلي : فقيه شافعي ، عالم بالأصول والتفسير والحديث . مولده ووفاته في  
دمشق . له مائة وبضعة عشر كتاباً ، منها ثلاثة تفاسير ، وحواش وشروح كثيرة ، ورسائل منها : «المطالع  
البدري في المنازل الرومية» و «جواهر الذخائر في الكبار والصغار» قصيدة رائية في المواعظ . وهو أبو نجم  
الدين محمد المؤرخ ، وقد جمع ابنه أسماء كُتبه في كتاب أفردته لذلك . ولزم بدر الدين العزلة في أواسط  
عمره ، فكان لا يزور أحداً من الأعيان ولا الحكام ، بل يقصدهونه . وكان كريماً حسناً ، جعل لتلاميذه  
رواتب وأكسية وعطاي . ت ٩٨٤هـ . ١٠هـ .

والرسالة على صغر حجمها - كما يقول المحقق - تمثل مظهراً من مظاهر الحضارة ، لأنها تحوي على ما هو  
معروف في الحياة الاجتماعية من أسماء الأطعمة والأشربة وما يتعلق بها من ذكر المائدة والسفرة  
والصحاف والقصاع وغير ذلك.. كما أنها توضح بعض العادات الاجتماعية والتقاليد الحضارية المرعية في عصر  
نتمتع بالانحطاط والمقم والجمود والتأخر .. فقد شهد المؤلف زوال دولة المماليك وقيام الدولة العثمانية .

المبلّع : هو الذي لا يهينه اللقمة في فيه حتى يلعها قبل تكامل طحنها .  
المُبْعِيع : هو الذي إذا أراد الكلام لم يصبر إلى أن يلع اللقمة؛ لكنه يتكلم في حال المضغ فيبيع كالجمل، ولا يكاد يفسّر كلامه، وخصوصاً مع كبر اللقمة .  
المفرّق : هو الذي لا يضمّ شفّتيه عند المضغ، فيُسمع لأشداقه صوت من باب بيته؛ وربما ينتثر المأكول من أشداقه . والأدب أن لا يسمعه الأقربُ إليه .  
المعرّض : هو الذي يعرّض بذكر ما أخلّ به ربُّ المنزل من الأطعمة، ولو في حكاية يوردها..

النفاخ : هو الذي يتناول اللقمة الحارّة فينفخها بفيه ابتغاء تبريدها، وكان سبيله الكفّ عن الطعام إلى أن يمكنه تناوله .  
الملتدّ : هو الذي يأكل من صحيفة بعيدة عنه، فيحتاج إلى مدّ باعه والتزحزح نحوها .

المُعْطِي : وهو الذي يملأ ذقنه بالزفر لعدم ضبطه فمه أو يده عند وضعها في فمه ..

المقرّز : هو الذي يتحدث على المائدة بما تشمئز نفوس مؤاكليه من سمعته..  
العائب : هو الذي ينبّه على بعض عيوب الطعام..  
الجَمَلِيّ : هو الذي لحشّيته من تنقيط المرق على أثوابه يمدّ رقبته، ويتطاول إلى قُدّام كالجمل، حتى ينقط ما يقطر من فيه على المائدة أو المئزر ..  
الوائب : وهو الذي نهض ويثب ويتحرك عند وضع اللقمة حتى يكاد تسقط عنه عمامته؛ ويسمى أيضاً بالمتخلّ ..

المتحرّب : هو الذي إذا أكل من صحيفة لم يُبق فيها إلا العظام !  
المصنّف : وهو الذي يقوم ويشمّر عند حضور المائدة، ويصفف الصحاف والأطعمة يوهم أن هذا خدمة للحاضرين وليس كذلك، بل لينظر في الألوان ليجعل الطيب في مكانه هو..

الملقوّ : وهو الذي يأكل اللقمة الكبيرة، فثرى من خارج فكّه كالسلعة العظمية !

المُسابِق : وهو الذي يُمسك في يده لقمة قد أعدّها قبل أن يمضغ التي في فمه، فلا يُرى فكّه خالياً عن مضغ، ولا يده خالية؛ وربما تكون عينه في لقمة أخرى .

الصامت : وهو من لا يعود ينطق، بل يُكبّ ويُطرق على الأكل، ويشغل بالمضغ والبلع وأخذ اللقَم ووضعها متصلاً ذلك بلا انفصال .

حاطب ليل : هو الذي لا يستقصي تأمّل ما يأكله، وربما أكل ذبابة عساها تقع في الإناء وهو لا يشعر..

الصعب : وهو بضدّ حاطب ليل، وهو من ينقي اللقمة في يده مما لا يحترز التنقية كقشور حمص، وعروق سلق، وغير ذلك، ويجعلها قدّامه متثرة .

البَحّاث : وهو من يبحث الطعام، ويفرّقه، وينظر في أجزائه حتى يُغشي نفس من يراه..

الحامد : وهو الذي يحمد الله تعالى جهرأ في وسط الطعام، ولا سيّما ربّ المنزل، فكأنه يُنسب في ذلك إلى تنبيه الحاضرين على الكفّ عن الطعام.. قال جحظة البرمكي:

وَحَمْدُ اللَّهِ يَخْسُنُ كُلَّ وَقْتٍ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي أَوَّلِ الطَّعَامِ  
المستهلك : هو الذي يهلك أضراسه بشرب الماء البارد عقب الطعام الحار..  
المُشيع : وهو من عينه إلى لقم الحاضرين وأكلهم، فعينه لأخذ ذا، وضمّ ذا، وبلع ذا، ومضغ ذا، ووضع ذا .

المتلفّ : هو الذي لا يزال يتلفّ إلى الناحية التي يُنقل منها الطعام كأنه يتوقع طعاماً آخر ، وإذا رُفع الطعام بقي متلفناً إلى صحفاته كأنه يشيعها بنظره، كأنه لم يشيع ..

المُحدّث : هو ربّ المنزل يُشاغل مؤاكله بالحديث المتصل الذي يستدعي

الجواب، ويلهيمهم بالإصغاء إليه عن الأكل، وذلك معدود من اللؤم؛ أما الحديث الذي لا يستدعي جوابها فهو من صاحب المائدة أحسن منه من المدعو والزائر .  
المُعَدِّي : هو الذي يأكل ما بين يدي غيره .  
الفَصَّاص : هو الذي يغفل عن إعداد الماء قبل الأكل، فإذا غصَّ أحد مؤاكليهِ لا يجد ما يسقيه .

البَّار : هو الذي يُفْرِط في القهقهة، واللَّقمة في فيه، فيشاهد جلساؤه اللَّقمة ممضوغة داخل شدة، ويتناثر منها ما انسحق .  
البَّار : هو الذي يخرج لسانه كالبقرة وقتاً بعد وقت لِلْحَسِ شفثيه خارج فيه .

المغالي : هو الذي لا يَقْصِد في أكله إلا الغالي الثمن وإن كان مضرّاً، وإن كان غيره أطيب منه .

المُعْزَل : هو الذي إذا شبع، وحضر طعام آخر، يتقيأ، ويأكل منه أيضاً .  
المُوحِش : هو ربّ المنزل الذي يَحْرُدُ على غلمانهِ، أو يهدّد الطباخ، أو يضرب في داره جارية أو غلاماً عند اجتماع ندمائه أو حضور مائدتهم .  
المتشكّي : هو رب المنزل إذا اشتكى السّنة، وغلاء الأسعار، واعتذر إلى ضيفه بشدة ضيقه، وأقبح ما يكون في حال الأكل أو قبله .

أما بقية العيوب فهذه هي مفرداتها :

الحكّاك، المشنّع، المتناقل، المقطّع، الرشّاف، الدفّاع، اللطّاع، المعطّاش، الجراف، المزفر، المدسّم، المستبدّ، المهمل، الفضولي، الطفيلي، الجرذيل، المشغل، النّهم، النائر، البهات، العابت، المبقّي، المستظهِر، المحتمي، المرتّع، المملع، المتطاوّل، المنقط، المرشّش، الموسّع، الضارب، المصاص، الأكع، الموهم، المتقيّ، الموزّع، الموفر، المستأثر، اللفاف، المتجنّ، المختال، المفرّق، المختلس، المستأذن، المغتتم، المتخلّل .

وإذا كان المؤلف لم يستوفِ كل العيوب - كما قال هو نفسه - وإنما اقتصر على

بعض ما حضره منها.. فقد أورد الثعالبي في فقه اللغة مجموعة من الأوصاف المتعلقة بكثرة الأكل وترتيبها، أوردتها المحقق في خاتمة هذه الرسالة وهي :

الشُّرَّة، الجشع، الجعجعة، اللعوس واللحوس، العيصوم، الهبلع، الجعظري، الهلقامة والتلقامة والجُراضيم، المجلح، القحطي، المدهبل، المستجيع والشحذان، والألهم، الأرشم، اللعمظ والألعموظ، الوارش، الواغل، الضيفن، المقتّم، المحتف .

\* \* \*





## فَضْلُ الْكَلَابِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْبَشَرِ الْثِيَابِ لمحمد بن المَرْزَبَانِ (\*)

«ذَكَرْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ زَمَانَنَا هَذَا وَفَسَادَ مَوَدَّةِ أَهْلِهِ وَخَسَةَ أَخْلَاقِهِمْ وَلَوْمْ طَبَاعَهُمْ .  
وَأَنْ أُبْعِدَ النَّاسَ سَفَرًا مِنْ كَانَ سَفَرُهُ فِي طَلَبِ أَخٍ صَالِحٍ .  
وَمَنْ حَاوَلَ صَاحِبًا يَأْمَنُ زَلَّتْهُ وَيَدُومُ اغْتِبَاطُهُ كَانَ كَصَاحِبِ الطَّرِيقِ الْحَيْرَانَ الَّذِي  
لَا يَزِدُّهُ لِنَفْسِهِ إِتْعَابًا إِلَّا أَزْدَادَ مِنْ غَايَتِهِ بُعْدًا .  
وَقَدْ يَرُوى عَنْ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :  
كَانَ النَّاسُ وَرَقًا لَا شَوْكَ فِيهِ ، فَصَارُوا شَوْكًا لَا وَرَقَ فِيهِ !  
هَذَا مَا قَالَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي مَقْدَمَةِ رِسَالَتِهِ الْغَرِيْبَةِ «فَضْلُ الْكَلَابِ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ لَبَسَ  
الْثِيَابِ» الَّذِي أَلْفَهُ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ .. الْقَرِيبِ مِنْ عَصْرِ التَّابِعِينَ أَوْ تَابِعِيهِمْ  
رَحِمَهُمُ اللَّهُ !

---

(\*) فَضْلُ الْكَلَابِ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ لَبَسَ الْثِيَابِ . لِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ خُلْفِ بْنِ الْمَرْزَبَانِ ؛ رَوَايَةُ أَبِي عَمْرِو مُحَمَّدِ  
ابْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَكْرِيَّا بْنِ حَبِيبَةَ الْخَزَاعِيِّ . - الْقَاهِرَةُ : عِنْدَ بَنْشَرِهِ إِبرَاهِيمَ يُوْسُفَ النَّسَاجَ بِدَارِ  
الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ ، ١٣٤١ هـ ، ٣٢ ص .

وَالْمُؤَلِّفُ - كَمَا فِي الْأَعْلَامِ - : مُؤَرِّخٌ ، مُتَرْجِمٌ ، عَالِمٌ بِالْأَدَبِ .. كَانَ أَحَدَ التَّرَاجِمَةِ ، يُنْقَلُ الْكُتُبُ الْفَارْسِيَّةُ إِلَى  
الْعَرَبِيَّةِ ، لَهُ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِينَ مَقُولًا مِنْ كُتُبِ الْفَرَسِ . وَلَهُ تَصَانِيفٌ مِنْهَا : «الْحَاوِي فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ»  
و«الْحِمَاسَةُ» وَ«الشُّعْرَاءُ» وَكُتَابُ «الْمُحِبِّينَ» وَ«الشُّرَابِ» وَ«الْجُلُوسِ وَالنَّدَامِ» وَ«النِّسَاءُ وَالْغَزَلُ» وَ«ذَمُّ  
الثَّقَلَاءِ» وَ«مَنْ غَدَرَ وَخَانَ» .. الْخ .  
تُوفِيَ سَنَةَ ٣٠٩ هـ .

وَقَدْ ذَكَرَ جَلِيلُ الْعَطِيَّةِ فِي مَجْلَةِ عَالَمِ الْكُتُبِ ج ٧ ع ٤ ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ ٥٠٩ ص أَنَّ الْكِتَابَ نُشِرَ  
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . أَوَّلَهَا مَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ فِي بَيِّنَاتِ هَذَا الْكِتَابِ . وَثَانِيًا حَقَّقَهُ لُؤيسُ شَيْخُو وَنَشَرَهُ فِي مَجْلَةِ  
(الْمَشْرِقِ) ، ١ (بَيْرُوت ١٩٠٩) ص ٥١٥-٥٣٣ . وَأَخِيرًا نُشِرَ مَعَ تَرْجُمَتِهِ إِلَى الْإِنْكِلِيزِيَّةِ بِعِنَايَةِ الْمُسْتَشْرِقِ  
الْبَرِيطَانِيِّ رِكْسِ سَمِيثٍ وَ د . مُحَمَّدِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ، وَاعْتَمَدَ الْخَفِّقَانِ عَلَى ثَلَاثِ مَخْطُوطَاتٍ ظَفَرَا بِهَا مِنْ بَرَلِينِ  
وَالْقَاهِرَةِ وَبَارِيسَ ..

وأنا أنقل لك بعض ما قاله فيها لتأخذه بحذر.. أو بغير حذر..  
وقد تُسَلِّم ببعض ما أورده عندما تتذكّر أشخاصاً آذوك بلا رحمة.. أو اعتدوا  
على آخرين بدون سبب.. أو أنك قرأت عن فئة وتصوّرت أعمالهم فلم تجد في  
أشخاصها صفات بني البشر.. ولعلّمت بعدها أن الكلاب الوفية بأصحابها هي  
خير من هؤلاء الذين يكذبون، ويعذبون، ويظلمون، ويخونون.. ولا يتعظون !  
قال بعضهم :

ذهب الناس وانقضت دولة المجـد فكل إلا القليل كلاب  
إن من لم يكن على الناس ذنباً أكلته في ذا الزمان ذئاب  
غير أن الوجوه في صور النا س وأبدانهم عليها الثياب  
لست تلقى إلا كذوباً بخيلاً بين عينيه للإياس كساب  
وأُشَدَّ ابن أبي طاهر الكاتب :

حال عما عهدت ريب الزمان واستحالت مودة الإخوان  
واستوى الناس في الخديعة والمكـر فكل لسانه اثنان  
وروي أن رجلاً قال لبعض الحكماء : أوصني، قال : ازهد في الدنيا ولا تنازع  
فيها أهلها، وانصح لله تعالى كنصح الكلب لأهله، فإنهم يجيعونه ويضربونه ويأبى  
إلا أن يحوطهم نصحاً .

وقال الأحنف بن قيس : إذا بصبص الكلب لك فتق بودّ منه ولا تتق ببصابص  
الناس، فربّ مبصبص خوّان .

وقال الشعبي : خير خصلة في الكلب أنه لا ينافق في محبته .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كلب أمين خير من إنسان خؤون .

ورأى جعفر بن سليمان كلباً مع مالك بن دينار فقال له : ما هذا ؟ قال : هذا  
خير من جليس السوء .

وذكر بعض الرواة أنه كان للربيع بن بدر كلب قد ربّاه ، فلما مات الربيع  
ودفن جعل الكلب يتضرّب على قبره حتى مات .

وكان للعامر بن عنترة كلاب صيد وماشية، وكان يحسن صحبتها، فلما مات عامر لزم الكلاب قبره حتى ماتت عنده وتفرق عنه الأهل والأقارب .

وأنشد المؤلف لأبي العباس الأزدي :

لكلب الناس إن فكرت فيهم أضُرُّ عليك من كلب الكلاب  
لأنَّ الكلب تحسُّوه فيحسُّاً وكلب الناس يربض للعتاب  
وأن الكلب لا يؤذي جليساً وأنت الدهر من ذا في عذاب  
وكان لإبراهيم بن هرمة كلاب إذا أبصرت الأضياف بثت لهم ولم تنبح  
وبصبصت بأذنانها بين أيديهم، فقال يمدحها :

ويدل ضيفي في الظلام إذا سرى إيقاد ناري أو نباح كلاب  
حتى إذا واجهته وعرفته فدينه بباصب الأذنباب  
وجعلن مما قد عرفن يقدره ويكدن أن ينطقن بالترحاب  
وقال بعض الشعراء :

أيها الشافئ الكلاب أصخ لي منك سمعاً ولا تكونن حسبا  
إن في الكلب فاعلمن خصلاً من شريف الفعال يعددن خمسا  
حفظ من كان محسناً ووفاء للذي يتخذه حرباً وحرسا  
واتباع لرحلة وإذا ما صار نطق الشجاع للخوف همسا  
وهو عون لنابح من بعيد مستجيراً بقربه حين أمسا  
وأنشد أبو عبيدة لبعض الشعراء :

يعرج عنه جاره وشقيقه ويرغب فيه كلبه وهو ضاربه  
قال أبو عبيدة :

قيل هذا الشعر في رجل من أهل البصرة، خرج إلى الجبانة ينتظر ركابه، فاتبعه كلب له، فطرده وضربه وكره أن يتبعه، ورماه بحجر فأدماه، فأبى الكلب إلا أن يتبعه. فلما صار إلى الموضع وثب به قوم كانت لهم عنده طائلة، وكان معه جار له وأخ، فهربا عنه وتركاه وأسلماه، فجرح جراحات كثيرة، ورُمي به في بئر، وحثوا

عليه بالتراب حتى واروه ولم يشكّوا في موته، والكلب مع هذا يبرّ عليهم وهم يرمونه . فلما انصرفوا أتى الكلب إلى رأس البئر، فلم يزل يعوي ويبحث بالتراب بمخاليبه حتى ظهر رأس صاحبه وفيه نفس يتردد، وقد كان أشرف على التلف ولم يبق فيه إلا حشاشة نفسه ووصل إليه الروح . فبينما هو كذلك إذ مرّ أناس فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنه يحفر قبراً، فجاءوا فإذا هم بالرجل على تلك الحال، فاستخرجوه حياً وحملوه إلى أهله .

فزعم أبو عبدة أن ذلك الموضع يدعى بئر الكلب ...

قال المؤلف :

وحَدَّثني صديق لي أنه كان له صديق ماتت امرأته وخَلَفَتْ صبياً، وكان له كلب قد ربّاه، فترك يوماً ولده في الدار مع الكلب وخرج لبعض الحوائج، وعاد بعد ساعة فرأى الكلب في الدهليز وهو ملوث بالدم وجهه وبوزه كله ؛ فظن الرجل أنه قد قتل ابنه وأكله. فعمد إلى الكلب فقتله قبل أن يدخل الدار، ثم دخل الدار فوجد الصبي نائماً في مهده، وإلى جانبه بقيةُ أفعى قد قتله الكلب وأكل بعضه ؛ فندم الرجل على قتله أشدَّ ندامة ، ودفن الكلب..!

وحديثاً قال الشاعر أحمد محفوظ يمدح كلباً :

تماض الوفاء وعزّي الإنسان وأراه بين طبائع الحيوان  
فالكلب يحمل للصديق مودة بيضاء يحفظها مدى الأزمان  
لا ينمحي عند الشدائد حلوها أو تنتهي بطوارق الحدثان  
سيان في القصر المشيد وفاؤها أو بين متربة بدار هوان

\* \* \*

## بن نسب إلى أمه بن الشعراء لمحمد بن حبيب (\*)

يضمّ هذا الكتاب طائفة من شعراء العرب الذين عرفوا بنسبتهم إلى أمهاتهم، وهو ضرب من التأليف طريف، يعالجه إمام من أئمة الأخبار والأنساب ورواية الشعر.. وقد ضمّ أسماء تسعة وثلاثين شاعراً هم - كما نسبوا إلى أمهاتهم - :  
ابن شعوب، ابن أم حولي، عطف بن بشة الشيباني، ابن طوعة الشيباني، ربيعة ابن غزالة الكندي، ابن حجلة الأسدي، الستري بن عيساء الجعفري، حبيب بن خُدرة الهلالي، ابن عيزارة الهذلي، قطبة بن الزبيري، قيس بن الحُدادية، عمرو بن الصماء الخزاعي، عياض بن أم شهمة الخزاعي، العريان بن أم سهلة النبهاني، ابن السَّجَّاء، حميد بن طاعة السَّكُوني، ابن الدَّمينَة الحثعمي، يزيد بن ضَبَّة، ابن الظريّة، ابن فسوة، ابن الهيجمانة العبسي، ابن أمّ الحزنة العبدي، عمرو بن مبرِّدة، ابن الذبيّة، شبيب بن البرصاء، بعض بن أم قرفة، ابن ميادة المري، بشامة بن الغدير، أسعد بن الغدير .

والكتاب صغير الحجم (١٥ صفحة) نختار منه أخباراً قليلة .

● حميد بن طاعة السَّكُوني. قال لعمر بن الخطاب :

إنك مسترعى وأنا رعيّة وإنك مدعوٌ بسيماك يا عمرُ

---

(\*) كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء يوجد ضمن المجموعة الأولى من «توادر المخطوطات» بتحقيق عبدالسلام هارون. - ط ٢. - القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ص ص ٨١ - ٩٦ .

والمؤلف : محمد بن حبيب بن جعفر (ت ٢٤٥) - كما في مقدمة المحقق - من علماء بغداد باللغة والشعر والأخبار والأنساب، ثقة مؤدّب، ولا يعرف أبوه، وحبيب أمه، وكانت أمه مولاة لمحمد بن العباس الهاشمي.. ومن نسبه تدرك سُرّ اهتمامه بهذا البحث .

لدى يوم شرُّ شرٍّ لشيْراره وخيّر لمن كانت معائشه الخَيْرُ  
وقال :

ما إن رأينا مثلك ابن الخطّاب أبرّ بالدين وبالأحساب  
بعد النبي صاحب الكتاب

● و«ابن فسوة» وهو عتيبة بن مرداس الكعبي، وإنما قيل له ابن فسوة لأنه  
نزل بهم رجل من عبد القيس يقال له ابن فسوة، فكان يعيّر به، فقال له مرداس :  
أنا أشترى منك هذا الاسم بكبش. فاشتراه، فقال أخو عتيبة :

حوّل مولانا علينا اسم أمّه ألا ربّ مولى ناقص غير زائد  
● و«ابن الذية» وهي أمّه، امرأة من فهم، واسمه ربيعة بن عبد ياليل، واسم  
الذية قِلاّبة، فلقبت الذية، وهو الذي يقول :

إني لمن أنكرني ابن الذيه كريمة عفيفة منسوبه  
● وشبيب بن البرصاء<sup>(١)</sup> وهي أمّه، وهو شبيب بن زيد بن جمره بن عوف بن

أبي حارثة، وأمّه القِرْضابة بنت الحارث.. وهو الذي يقول :  
لاخير في العيدان إلا صلابها ولا ناهضات الطير إلا صقورها  
تبيّن أدبارُ الأمور إذا انقضت وتقبل أشباهاً عليك صدورها

---

(١) قال ابن دريد : كان النبي ﷺ خطب البرصاء إلى أبيها، فقال : إن بها سوءاً - وهو كاذب - فرجع  
فوجد بها برصاً .

## حدائق التمام في الكلام على ترايعالو بالحمام لأحمد بن محمد الحيمي (\*)

درج الكتاب من السلف على أن يثيروا في مقدمات كتبهم إلى الموضوع الذي سيبحثون فيه. ويتفنن بعضهم في تضمين الأسطر الأولى من مقدماتهم كلمات منمقة فيها حمد وشكر لله تعالى ، مأخوذة من المادة التي يبحث فيها الكتاب . ولهذا نجد اختلاف الأساليب في بداية مقدمات كتب علوم القرآن والحديث، والأدب، والتاريخ، والعلوم التطبيقية..

---

(\*) حدائق التمام في الكلام على ما يتعلق بالحمام . شهاب الدين أحمد بن محمد الحيمي الكوكباني ؛ تحقيق عبدالله محمد الحيمي . - ط ٢ . - [صنعاء] : الدار اليمنية للنشر والتوزيع ؛ بيروت : دار المناهل، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م ، ٢٥٥ ص .

والمؤلف أديب ومؤرخ ينتهي نسبه إلى نشوان الحميري حسب قوله في كتابه «طبيب السمر» ، وكان والده محمد بن الحسن الحيمي أحد أديباء اليمن المحدثين والمتأهلين لنشر العلم والدراسة، ومن المؤلفات التي أوردها له المحقق : «طبيب السمر في أوقات السحر» وهو من أهم كتبه الأدبية، «المفاخرة بين الروضة وبئر العزب» ، «نجوم الليل على غرر الخيل» ، «سلافة العاصر» . وقد توفي سنة ١١٥٣ هـ .

ويذكر المحقق أن هذا الكتاب فريد في بابيه، بل فريد في التراث اليمني، إذ لم يؤلف أحد غير الحيمي في موضوع الحمام وآدابه . ومن ألف فيه - من غير اليمنيين :

- كتاب الحمام وآدابه لإبراهيم بن إسحق الحرني، ت ٢٨٥ هـ .
- آداب دخول الحمام لعبدالكريم بن محمد السمعاني، ت ٥٦٢ هـ .
- آداب الحمام لمحمد بن عبدالله الشبلي، ت ٧١٢ هـ .
- الإلام بآداب دخول الحمام لمحمد بن علي بن حمزة، ت ٧٦٥ هـ .
- عقود الكمّام في متعلقات الحمام لابن الملقن .
- رفع اللثام عن أحكام الحمام لابن طولون .
- غاية الاحترام فيما ورد في الحمام للسابق .
- الزهرة الذهبية في أحكام الحمام الشرعية والطبية للمناوي .
- القول الثام في آداب دخول الحمام لأحمد بن العماد الأقفهسي، ت ٨٠٨ هـ .
- كتاب في آداب الحمام لمحمد بن الكركي، ت ٨٣٥ هـ .
- رسالة في الحمام لداود الأنطاكي، ت ١٠٠٨ هـ .

فماذا قال مؤلف هذا الكتاب في الأسطر الأولى من مقدمته وهو يتحدث عن الحمّامات؟ وماذا يوجد في الحمّام سوى الماء الحار والغرف المسخّنة والأقداح والواح الصابون؟

لننظر معاً إلى هذه التشبيهات البديعة والمعاني اللطيفة التي استطاع أن يستخرجها المؤلف ويُقدّم من خلالها صورة أدبية رائعة.. في مقدمة نادرة.. لكتاب نادر :

« الحمد لله على نعمه منه حديثة وقديمة، وكم له من أياد تهمل ولا كهمول ديمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تملأ الأكياس وتضيق عنها خزائن الصدور من السادة الأكياس . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي وضع به من الإسلام مبيّنه، بعد ما شدّ مثزره في نصرة الحق وعرق بالكدح فيه جبينه، ودارت أقداحه مملوءة بشراب قراح، وهيبات لا والله لقد تنزهت عن شراب الراح، ونبتعت أنابيبه وامتلاّت حياضه وتضلّعت بالعدل ركاه ودلاه فسقيت بها رياضه، وزال بصابون دينه وسخ الكفر من الأجساد ، وخضبت به كف الإيمان مسرة وفرحاً لما حزن به الأعداء والحساد، صلى الله عليه وعلى آله المصعدين لأنفاس المعاندين بالزفرات، المفيضين على خدودهم كإفاضة العرق من أجسام المستحمين متسابق العبرات ما انتعم مستحم بصدر حمّام، وما دار في المقامات كلام، فقل حكى الحارث بن همام . »

وحتى لا يبقى القارئ حيران في سبب تسمية الكتاب بـ «حدائق الحمام».. الذي قد لا يعرف له إلا معنى واحداً، فقد بين المؤلف أن «النّمام» نبت كالننعع إلا أنه أشد منه بياضاً.. وقيل هو نوع من الريحان.. وسَمّي نَمَاماً لطيب رائحته كأنه ينمّ على حامله .

وقد ذكره الأدباء في أشعارهم وورّوا به عن الحمام الذي هو رافع الحديث بين القوم على جهة الإفساد والشر، وجاؤوا في ذلك بعجائب وتواردوا فيه على الغرائب . قال صفى الدين الحلّي :



أقول وطرف النرجس الغضّ شاخص إليّ وللنّمام حولي إمام  
أيارب حتى في الحدائق أعين علينا وحتى في الرياحين نّمام

### في الكلام على الحَمَّام

سمي الحَمَّام حَمَّاماً لما فيه من الماء الحار، ولأنه يعرّق، أخذ له هذا الاسم من  
الحميم، وهو الماء الشديد الحرارة .

ومن أسماء الحَمَّام التي عدّدها الكاتب :  
الدبّاس، الديماس، البَلّان .

قال :

وأول من دخل الحَمَّام ووضعت له النورة والصابون : سليمان بن داود عليهما  
الصلاة والسلام، فلما وجد حرّها قال : أوه من عذاب الله<sup>(١)</sup> .

وقد قسّم الحَمَّام إلى ثلاثة بيوت، كل بيت أسخن من الذي قبله لئلا يكون  
الانتقال من الحار إلى البارد فجأة، والبيت الأول مبرّد رطب، والثاني مسخن  
رطب، والثالث مسخن مجفف، ولذلك يكون الانتقال من بيوته على التدرّج .  
وأفضل الحمامات مطلقاً الحَمَّام العالي المرتفع في بنائه، لئلا تنجّس الأنفاس  
المختلفة فيفسد بها وينحل الهواء فيه بسرعة بعد التحلل والانبساط، ويلطف البخار  
الصاعد إلى الأعلى كما نشاهده من فيه الإنبيق<sup>(٢)</sup>، فإن اتسع مع ذلك كان أقوى في  
تفريق الهواء وتلطيفه وقبوله التكثف فيما ذكر، ولا سيما إن كان الحَمَّام قديم البناء  
طويل العهد، لأن الحديد فاسد بأبخرة الأحجار والطين وعفونة ما يتسرب من الماء  
في أجزائه ويرده. وحُدّ القدم فيه أن يكون له من يوم بُني سبع سنين فما فوق،  
فإنه يكون غاية ..

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن والعقيلي في الضعفاء والطبراني وابن عدي عن أبي موسى (انظر الفتح الكبير

١/٤٧٠) .

(٢) آلة للتقطير .

وينبغي أن يفرش الحَمَّام بأحجار الرخام، إذا لم تكن تلك الأحجار ملساً، يزلق بها الداخل، فإن كانت كذلك فهو معدود من المنكرات فتجب إزالته وقلعه .  
وأن تكثر الميازيب والتلايف في دهاليزه، ويحكم طبق أبوابه لتقوم الحرارة، وينبغي أن يصان من الغبار والدخان والتبخر بنحو كساحات الطريق، خصوصاً إذا كانت القدور قديمة، ولا يفتح إلى الجنوب، وأن تكثر فيه المنافذ، ويستر بنحو البلور للضوء ويكشف وقت الحرارة لفصل ما انعقد وتلطيفه، ويعاهد بالإصلاح إذا عتق، والبخورات الطيبة والتنظيف وإزالة ما مكث من الماء في الأباريز - وهي الحيطان - لئلا يفسد فيضراً .

وينبغي أن يكون مسلخ الحَمَّام - أي مخلعه الذي تخلع فيه الثياب عن الأبدان - لطيف الصنعة واسع الفضاء ..

والحَمَّام في الأصل وضع للتنظيف، من نحو الأوساخ والدرن والعفونات والقمل . ولذا قال الرقاشي<sup>(١)</sup> وقد دخل عليه بعض الأمراء الحَمَّام فقال له : دُمُّهُ، فقال : يهتك الأستار ويولّد الأقدار ويذهب بالوقار. فقال : امدحه، فقال : يذهب القشافة<sup>(٢)</sup>، ويعقب النظافة، ويفسّ الثخمة، ويطيب النعمة .

ووضع الحَمَّام أيضاً لدفع أمراض جمّة، كالحميات والتخم والإعياء وأنواع الهیضة والزلات .

وينبغي لداخل الحَمَّام أن يدخله عند آخر الهضم، بحيث أنه يخرج منه محتاجاً إلى الغذاء، فإن في ذلك حفظ الصحة .

قال بعضهم : وإياك أن تدخل الحَمَّام وتخرج منه بجسمك عارياً، وإذا أردت الخروج فاخرج إلى المسلخ متدرجاً، وأفرغ عليك ثوباً نظيفاً مبخرّاً... ويكره أيضاً شرب الماء البارد عقيب الحَمَّام والطعام الحار والتعب والمجاعة والأكل، فإن ذلك جميعه مضر جداً .

---

(١) هو الفضل بن عبدالصمد ، شاعر متهك عاصر أبا نواس، وتوفي نحو سنة ٢٠٠ هـ . الأعلام .

(٢) رثاء الهيئة وسوء الحالة .

قال ابن الدروي :

إن عيش الحَمَام أطيب عيش غير أن المقام فيه قليل  
فهو مثل الملوك تصفي لك الود ولكن وده مستحيل  
جنة تكره الإقامة فيها وجحيم يطيب فيه الدخول  
فكأن الغريق فيه كليم وكأن الحريق فيها خليل

وقال المؤرخ المترسل شهاب الدين بن فضل الله :

وحَمَامكم كعبة للوفود تحج إليها حفاة عراه  
يكرر صوت أنابييه كتاب الطهارة باب المياه  
وقال الشيخ صدر الدين بن عبدالحق الحنفي رحمه الله تعالى في الحَمَام :  
وجنة لا تنظفي نارها ندخلها وهي لنا مقصية  
نعينها فيها بلا طاعة عذابنا فيها بلا معصية  
وقال أحد الظرفاء في الحَمَام وناره ومائه :

رُبَّ حَمَام تَلْظِي كَلْظِي كل وامق  
ثم أَجْرى عبرات ومعها بالوجد ناطق  
فقد منه ومني عاشق في جوف عاشق  
دخل ابن بقي الحَمَام وفيه الطليطي الأعمى فقال ابن بقي : أجز قولي :  
حَمَامنا كزمان القيض<sup>(١)</sup> محترق وفيه للمرء برد غير ذي ضرر  
فقال مجيزاً قوله :

ضَدَان ينعم جسم المرء بينهما كالغصن ينعم بين الشمس والمطر  
وقال آخر في التورية (وينسب أيضاً لابن بقي) :

إن حَمَامنا الذي نحن فيه أي ماء له وأية نار  
قد نزلنا به على ابن معين وروينا عنه صحيح البخاري

---

(١) مكنا في الأصل، وقد يكون الأصح : القيظ .

وقد أعجب المؤلف بهذين البيتين فقال :

لله دُرُّ هذا الأديب ما أظرفه وأصنعه لحسن سبك التورية، وهي - أعني التورية - هنا وقعت في محلين : المحل الأول في قوله : «ابن معين» فإنه بفتح الميم صفة لماء الحمام، والماء المعين معروف، وابن معين أيضاً الإمام الحافظ المحدث المشهور يحيى بن معين رحمه الله تعالى ، وبذلك عرفت التورية الأولى . المحل الثاني في قوله : «صحيح البخاري» فإن البخار هو كل متصعد من الشيء الحار، والحمام لا بد له من البخار. والبخاري بزيادة الياء محدث مشهور شهرته كالشمس في كبد السماء رضي الله عنه. وصحيح البخاري في الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام مشهور سائر بين المحدثين في الآفاق سير المثل، وبذلك عرفت التورية الثانية .

وقد جاءت التورية بالبخاري للعلامة بدر الدين الدماميني الخزومي<sup>(١)</sup> رحمه الله حيث قال في عود البخور :

أتساني منك عود أطربني مواقع جبره عند انكساري  
له نفس ذكي قد رويني حديث الطيب فيه عن البخاري  
وأنشد الكاتب معذراً إلى أحد الملوك وقد أراد دخوله الحمام بصحبته :  
مولاي لا ترج لي دخولاً إلى دباس يزيل وفري  
لست إليه الزمان آوي فأنت تكسي وذاك يعري  
وقال جمال الدين محمد بن نباتة المصري في ذم حمام دخله مع صديقه :  
دعاني صديق لحمامه فأوقعني في العذاب الأليم  
كلام يزيد وماء يقل فبئس الصديق وبئس الحميم  
وقال آخر في ذلك :

إن حمامنا التي نحن فيها هي في حاجة إلى حمام

---

(١) أديب مصري وفاته سنة ٨٢٧ هـ . الأعلام .

قد دخلنا ونحن أبناء سام وخرجنا ونحن أبناء حام  
وقد استدرك المؤلف الحيمي عليه فقال : بل خرجتم أيها الأديب وأنتم في  
الحقيقة أبناء بارد لأبناء حامي ، ثم أنشد فقال :  
أراكم عند ذا الحَمَام قوماً وقعتم في المضايق والزحام  
وأبناء بارد أنتم فلم ذا تقول بأنكم أبناء حام  
قال : ومقصود هذا الناظم أنهم دخلوه بيضاً وخرجوا منه سوداً لشدة البرد  
التي بها تحصل الكمودة في اللون والزرقة في الجسد .

وقال الشيخ صدر الدين بن عبدالحق :

جهنم حَمَامكم نارها تقطع أكبادنا بالظما  
وفيها عُصاة لهم صيحة وإن يستغيثوا يغاثوا بما  
وقال صفى الدين الحلي رحمه الله :  
إن حَمَامكم قد ضمت حميماً وحَمَاما  
وقال بعض الأدباء المتأخرين :  
ألا رُبَّ حَمَام بدا لي حميمه وظاهره ماء وباطنه نار  
كإخوان هذا العصر من تلق منهم فللودّ إعلان وللحقد إسرار  
وأنشد الكاتب :

وحَمَام سوء به الجسم قد تغيّر من برده واكفهّر  
فلو دخل الكلب فيه عوى وصاح من البرد جهراً وهراً  
وهير الكلب هو الصوت الذي يخرج منه دون نباحه وذلك من قلة صبره على  
البرد .

وفي المفاضلة بين الحَمَامات ما قاله ابن نباتة المصري لما فضّل حَمَامات مصر  
على حَمَامات الشام فقال :

أحواض حَمَام الشام أسمعني لي كلمتين  
لا تذكرني أحواض مصر فأنت دون القلّتين

وقد استنصر عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى لِحَمَامَاتِ الشَّامِ عَلَى حَمَامَاتِ  
مِصْرٍ مُنَاقِضاً لِحَمَالِ الدِّينِ بْنِ نِبَاتَةَ فِي نَظْمِهِ هَذَا فَقَالَ :

إِلَيْكَ حِيَاضُ حَمَامَاتِ مِصْرٍ وَلَا تَكْثُرِي عِنْدِي بِمِيزِ  
حِيَاضِ الشَّامِ أَحْلَى مِنْكَ مَاءٌ وَأَطْهَرُ وَهِيَ دُونَ الْقَلْتَيْنِ  
وَفِي آخِرِ هَذَا الْفَصْلِ نَبَّهَ الْمُؤَلِّفُ إِلَى أَنَّ الْحَمَامَ مِنْ جَمَلَةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا  
الْعُلَمَاءُ أَنَّهَا مِنْ شُرُوطِ الْمِصْرِ ، وَلَا يُسَمَّى الْمِصْرُ مِصْرًا إِلَّا إِذَا جُمِعَتْ ، وَهِيَ سَبْعَةٌ ،  
نَظَّمَهَا قَاضِي الْقَضَاةِ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحِمِي فَقَالَ :

الْمِصْرُ فِي صَحَّةِ التَّجْمِيعِ مُشْتَرَطٌ فَاسْمِعْ حَقِيقَةَ مَا يَحْوِيهِ تَفْصِيلاً  
وَالِإِ وَقَاضٍ طَبِيبُ جَامِعٍ وَكَذَا سَوْقٌ وَنَهْرٌ وَحَمَامٌ كَمَا قِيلَا

### فِي الْكَلَامِ عَلَى خَادِمِ الْحَمَامِ

قَالَ أَهْلُ أَصُولِ الْفِقْهِ فِي كِتَابِهِمْ : إِنَّ خَادِمَ الْحَمَامِ غَيْرُ عَدْلٍ لِأَنَّهُ مِنْ ذَوِي  
الْحَرْفِ الدِّنْيَةِ ، فَإِنَّ الْعُقُلَاءَ يَعْدُونَهُ بِهَا سَاقِطاً غَيْرَ كَفٍّ ، وَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ  
فَهُوَ غَيْرُ عَدْلٍ فَلَا يَصَحُّ تَقْلِيدُهُ عِنْدَهُمْ وَلَوْ كَانَ بِمُجْتَهِداً .

دَخَلَ رَضِيَ الدِّينُ جَعْفَرُ بْنُ الْمُطَهَّرِ الْجَرْمُوزِيُّ الْحَمَامَ هُوَ وَصَدِيقٌ لَهُ ، فَاتَّفَقَا أَنْ  
تَوَلَّى خِدْمَةَ ذَلِكَ الصَّدِيقِ رَجُلٌ حَمَامِي الْحَيِّ ، فَلَمَّا أَخَذَ فِي خِدْمَتِهِ جَعَلَ الْعِرْقَ  
يَتَسَاقَطُ مِنْ لَحْيَتِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ السَّيِّدُ جَعْفَرُ :

خَوِيدِمِ الْحَمَامَ ذُو لَحْيَةٍ مِثَالَهَا فِي الطُّوْلِ لَا يَشْهَرُ  
قَلْنَا وَقَدْ بَلَّلْنَا مَآؤَهَا مَا ذَاكَ إِلَّا عَارِضٌ مَطَرٌ

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْأَصْبَعِ فِي ذِمِّ قِيَمِ حَمَامٍ :  
وَقِيَمٌ كَلَّمْتُ جِسْمِي أَنَامِلُهُ بِغَيْرِ أَلْسِنَةٍ تَكْلِمُ خَرَصَانَ

إن أمسك اليد مني كاد يكسرها أو سرح الشعر من فودي آذاني  
وليس يمسك إمساكاً بمعرفة ولا يسرح تسريحاً بإحسان  
ويورد المؤلف أبياتاً كثيرة في العشق والمجون عن خدام الحمامات، كما ينشئ  
الشعر في ذلك، ولم نورد لها لتفاهتها، بل ولقلة الأدب في كثير منها. وقد توزعت  
أخبار كثيرة شبيهة بذلك في الفحش والمجون.. وكثيراً ما يعارض أشعاراً أخرى،  
ويتباهى بأنه أتى بـ «أفحش منها» رحمه الله وغفر له .

### دخول الحمام

لا بأس من دخول الحمام، ومن المستحب عند الشافعية لدخوله الغسل، كما  
صرح به في «اللباب» من كتبهم .  
وقد صح دخول أصحاب رسول الله ﷺ حمامات الشام. فأما النبي صلى الله  
عليه وآله وسلم فلم يدخل حماماً قط .  
وعلى داخله التزام آداب من الواجبات والسنن والأمور الطبية :

### الواجبات :

عليه واجبان اثنان في عورته وواجبان اثنان في عورة غيره .  
الأول من الواجبين في عورته صيانتها من نظر الغير، فإن كشف العورات في  
الحمام معدود من المنكرات، ولذا عُدَّ كشف عورته في الحمام غير عدل .  
والثاني من الواجبين في عورة داخل الحمام صيانتها من لمس الغير لها، فلا يتولى  
أمرها وإزالة درنها إلا هو بيده، فيمنع ذلك لجسده من لمس فخذه وما بين سرتيه  
إلى عانته ولو لمسها بخائل وهو الكيس المعروف الذي يدلك به الجسد، فإن لمس  
العورة من الغير حرام كالنظر إليها . وفي جواز لمس ما ليس بعورة من البدن لإزالة  
الوسخ احتمال...

وأما ذلك رأسه ويديه وظهره فلا بأس أن يفعله غيره ..

والأول من الواجبين في عورة الغير أن يقضَ بصر نفسه عنها .  
والثاني أن ينهى عن كشفها، لأن النهي عن المنكرات واجب، وعليه النهي فيه .

السنن :

ومما ذكره المؤلف :

- النية.. قصد التنظيف المحبوب والتطهر والترين للصلاة دون التعم والترقه .
- أن يدخل وقت الخلوة ويتكلف تخلية الحمام .
- أن لا يدخله إذا رأى عارياً بل يرجع .
- أن يذكر بحرّ الحمام حرّ النار الأخروية.
- أن لا يكثر صب الماء، بل يقتصر على قدر الحاجة فإنه المأذون فيه بقرينة الحال، ولو علم الحمامي الزيادة عليه لكرهها، فهو غير مأذون في الزيادة، ولا سيما الماء الحار فله علاج وفيه تعب، لأنه لا يسخن إلا بمؤونة تلحقه .
- أن لا يسلم في الدخول على من كان في بيوت الحمام الداخلة... لأن الناس يكونون مشغولين بالتنظيف... وقد نص عليه الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء .
- أن لا يكثر الكلام في الحمام..
- أن لا يكثر اللعب بغمس يده وإنائه الطاهرين في الحياض، فإن ذلك نوع من العبث .

قال الحيمي المؤلف :

لا شك أن الحمام وقت الضحى فيه من الانتعاش ما لا في غيره من سائر الأوقات، فإن الإنسان بعد خروجه منه في ذلك الوقت يجد من الأفراح والسرور ما لا يحّد بوصف.. هكذا تتبعنا ذلك عن تجربة ، ولا ندري أيجد غيرنا ما نجد أم لا !  
ثم أورد المنافع الطبية للحمام وما ينبغي عمله أو اجتنابه.. مررنا على بعضها سابقاً..



ثم ذكر بعض الأدوية التي تستعمل في الحمام أثناء ذلك الجسم.. وذكر أموراً غريبة لا أظن أن أحداً يستعملها الآن .

ثم أورد المؤلف قصيدة طويلة - من نظمه - ضمنها الواجبات والسنن التي يليق بدخل الحمام التزامها، وبعض الأمور الطبية، ومطلعها :

صاح إن كنت تطلب الإنعاما فاكهأ فيه فالزم الحماما  
وذيل هذا الفصل بمجموعات شعرية.. منها قول ابن رشيقي :

ولم أدخل الحمام ساعة بينهم طلاب نعيم قد رضيت بيؤس  
ولكن لتجري عبرتي مطمئنة فأبكي ولا يدري بذلك جليسي  
وقال صارم الدين إبراهيم بن صالح الهندي وقد دخل الحمام معه رجلان  
أحدهما يلقب بالكبسي والآخر يسمى مطهراً :

في صدر ذا الحمام مغرم حبكم قد صدّه الكبسي أن يتكبسا  
ومطهر بين الصبابة والصبأ أضحى يبول ذوي الغرام منجّسا

### في أشياء متفرقة

● دخل بعض المفرطين في طول القامة حمّاماً، فلما استلقى في صدر الحمام على ظهره، جعل بعض خادمي الحمام يعالجه بالتغميز.. فبدأ بالأعلى من أعضاء الرجل المستحم الطويل كالرأس والكتف واليدين ونحو ذلك حتى أكمل عمله، وأراد أن ينزل إلى عند قدميه لمعالجتها فقال الخادم للرجل : خاطرك يا سيدي، فقال : أين تذهب ؟ فقال : مرادي أنزل عند قدميك.. أراد هذا الخادم الكناية اللطيفة، عن إفراط الرجل في طول القامة، وأن النزول من عند رأسه إلى عند قدميه مسافة بعيدة كالسفر البعيد القاصي .

● وقف العتبي بباب إسماعيل بن جعفر يطلب الإذن في الدخول عليه، فقال له الحاجب : هو في الحمام ، فقال :

وأمر إذا أراد طعاماً قال حجّابه أتى الحماما  
فيكون الجواب مني للحا جب ما إن أردت إلا السلاما  
لست آتيكم من الدهر إلا كل يوم نويت فيه الصياما  
إني قد جعلت كل طعام كان حلالكم عليّ حراما  
قال المؤلف : سألتني بعض المستفيدين عن قول الشاعر :

إني لأكره علماً لا يكون معي إذا خلوت به في جوف حمام  
وقال : لِمَ خصّ ناظم هذا البيت الخلوة في جوف الحمام دون غيرها من سائر  
الخلوات ؟ فقلت له : إنما خصّ الخلوة في جوفه لأن المقام مقام تخلّ وتجرد عن كل  
شيء ليس مع الإنسان فيه إلا مئزر مبلول بالماء والعرق.. متجرد عن ملابسه جميعاً  
مما لا يظن أن في جيه قرطاساً قد رقمت فيه مسائل من العلم ربما راجع نظره فيها،  
ولأنه أيضاً مع الخلوة في جوف الحمام لا يمكن منه أن يستدعي كتاباً من الكتب  
لينظر فيه إذا عرض له بحث من المباحث العلمية..

سؤال : مسلمون ونصارى ويهود، وجملتهم عشرون، دخلوا حماماً ووزنوا  
عشرين درهماً، المسلم وزن نصف درهم، والنصراني وزن درهمين، واليهودي ثلاثة  
دراهم، كم كان عدد كل منهم ؟

الجواب : المسلمون أربعة عشر، والنصارى خمسة، واليهود واحد .

ما ينبغي للخارج من الحمام أن يفعله

- أن يخرج من الحمام تدريجياً بشرط تبريد الأطراف بالماء البارد .
- أن يشكر الله تعالى على نعمته .
- أن يستغفر الله .
- أن يرش جسده بالماء البارد فإنه ينعش القوة المسترخية من الكرب، ومن  
لهيب الحميات .

- وأن يغسل قدميه ووجهه بالماء البارد .
- تنظيف ما يجتمع من الوسخ في معاطف أذنيه ومسح ما يظهر منه وما يجتمع في مقر الصماخ .
- أن يسكن في المخلع ويتكىء ويستلقي ويستريح ويطمئن .
- أن يتناول مع بقاءه في المسلخ شيئاً من الأطياب العطرة .
- أن يلبس من الثياب النظيفة الناعمة.. لأن البدن مع ذلك لا يقدر على ملامسة ما خشن من الثياب .
- أن يتدثر بالأدفة التي تمنع البرد أن يتصل بالبدن، فإن نكاية البرد للبدن عقيب الحمام نكاية شديدة .
- أن يلبث في المخلع قدراً من الزمان فلا يعجل بالخروج .
- أن يخرج إلى دار فيها فراش أنيق ليّن الجوانب ناعم الملمس غير خشن .
- أن لا يؤخر الطعام عقيب خروجه سيّما إذا كان دخوله الحمام على الريق .
- أن لا يتناول من الطعام إلا الأنيق من أطعمة المترفين الخفيف الذي لا يثقل على المعدة .
- أن لا يتناول من الأشربة إلا المناسب لطبعه .
- النوم عقيب الخروج منه سيّما في الصيف .

وما ينبغي للخارج من الحمام أن يجتبه

- الخروج عارياً سيّما في الشتاء .
- التنشف بالمناشف المشهورة فإنه يورث البرص .
- صبّ الماء البارد على الرأس .
- شرب الماء، فإن الأطباء قد نهوا عنه.. وقد جمع تلك الأمور صفى الدين الحلبي في نظم له حيث قال :

توقّ شرب الماء في خمسة فإنها جالبة للسقام  
عقيب حمّامك والنوم والإغماء والباه وأكل الطعام  
وأما ما ينبغي من مهيئة الخارج من الحمام فالأحسن أن يقال له بعد خروجه :  
طاب حمّامك ..

\* \* \*

وأخشي - عزيزي القارئ - أن يكون فيما قرأته دافع لك لأن تدخل الحمام  
من جديد.. ونخرج منه بتجربة جديدة !  
وما عليّ إلا أن أقول لك : طاب حمّامك .

\* \* \*

## المردفات من قريش لأبي الحسن السدائني (\*)

كلمة «المردفات» يراد بها اللاتي أردفن زوجاً بعد زوج .  
وقد ذكر المؤلف من هذه المردفات ثمان وعشرين امرأة من قريش مع أخبارهن  
التي لا تخلو من غرابة !  
وبما أن الكتاب صغير الحجم (٢٣ صفحة) فسكتفي هنا بإيراد قصة واحدة  
منها . وهي عن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، أمها ميمونة بنت الحضرمي  
ابن الصعب . كانت عند عبدالله بن أبي بكر بن أبي قحافة فأحبها ، فكان ربّما ترك  
الصلاة جماعة ، فأمره أبو بكر رضي الله عنه بطلاقها وقال : قد فتنك عن دينك  
وشغلتك عن معيشتك . فطلّقها . فطلّقها ، وقال :  
ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جُرم تُطلّق

---

(\*) كتاب المردفات من قريش يوجد ضمن المجموعة الأولى من «نوادير المخطوطات» ، بتحقيق عبد السلام  
هارون . ط ٢ . القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٢ م ص ص  
٨٠ - ٥٧ .

وهي رسالة قيّمة وطريفة في موضوعها ، وهو موضوع حيوي اجتماعي فيه الإفصاح عن كثير من غوامض  
الحياة الاجتماعية في العصر العباسي .

والمؤلف : أبو الحسن المدائني علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف ، بصري سكن المدائن ، ثم انتقل عنها  
إلى بغداد ، فلم يزل بها حتى وافاه الأجل . وكان مولى لعبد الرحمن بن سمرة القرشي ، وهذا يكشف لنا  
القناع عن سرّ تأليفه لهذه الرسالة - كما قال المحقق - يتناول فيها أخبار النساء المردفات من قريش . وكان  
المدائني ميّالاً إلى التأليف في أخبار العرب وأنسابهم وأيامهم ، عالماً بالفتوح والمغازي.. أربت مؤلفاته - التي  
تناولها ابن النديم بالسرد - على مائتين وأربعين مصنفاً .  
ولد سنة ١٣٥ هـ وتوفي سنة ٢٢٥ هـ .

لَهَا مُخْلَقٌ سَمِخَ وَرَأَى وَمَنْصَبٌ      وَخُلِقَ سُوِّيٌّ فِي الْحَيَاءِ وَمَصْدَقٌ<sup>(١)</sup>  
أَعَاتِكَ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا      وَمَا نَاحَ قُمْرِيُّ الْحَمَامِ الْمَطَوَّقُ  
أَعَاتِكَ لَا أَنْسَاكَ مَا حَجَّ رَاكِبٌ      وَلَا حَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مَحْلُوقٌ  
أَعَاتِكَ قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ      إِلَيْكَ بِمَا تَخْفِي النَفُوسُ مَعْلُوقٌ  
وَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ فِي حَقِّ وَالِدٍ      وَطَاعَتُهُ مَا كَانَ مِنَّا التَّفَرُّقُ

فبلغ أبا بكر شعره فأمره فراجعها ، وكانت عنده حتى مات شهيداً ، أصابه  
سهم في حصار الطائف فانتفض به جرحه فمات ، فقال لعاتكة حين احتضر :  
لك حديقة من مالي ولا تزوجي ، ففعلت ذلك . وقال حين راجعها :

أَعَاتِكَ قَدْ طُلِّقْتَ عَنِّي بِعُصَّةٍ      وَرَاجَعْتُ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ  
كَذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ غَادٍ وَرَائِحٌ      عَلَى النَّاسِ فِيهِ أُلْفَةٌ وَتَبَايُنٌ  
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِرًا      وَقَلْبِي لَمَّا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنٌ  
أَعَاتِكَ إِنِّي لَا أَرَى فِيكَ سَقَطَةً      وَإِنَّكَ قَدْ حَلَّتْ عَلَيْكَ الْحَاسِنُ  
وَإِنَّكَ مِنْ زَيْنِ اللَّهِ أَمْرُهُ      وَلَيْسَ لَمَّا قَدْ زَيْنَ اللَّهُ شَائِنٌ

فمات عبدالله وترك سبعة دنانير، فقال أبو بكر : إنا لله ، كيف يصبر ابني على  
سبع كيات؟

فلما مات عبدالله قالت عاتكة :

فَجَعَلْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ      وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وَمَا كَانَ قَصْرًا  
فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي سَخِينَةً      عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرًا  
مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَمَامَةُ أُبَيْكَةِ      وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ الْمُنُورَا  
فَلَلَّهَ عَيْنَا مِنْ رَأَى مِثْلِهِ قَتَى      أَكْرُّ وَأَحْمَى فِي الْجِهَادِ وَأَصْبَرَا

---

(١) المصدق : الصدق .

إذا شَرَعْتَ فِيهِ الْأُسْتَةَ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرَكَ الرَّحِمَ أَحْمَرًا  
فَخَطَبَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي مَا لَا  
أَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى التَّزْوِجِ . فَقَالَ : اسْتَفْتِنِي ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَاسْتَفْتَاهُ  
فَقَالَ : رَدِّي عَلَيْهِمْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْهُمْ وَتَزَوَّجِي . فَرَدَّتِ الْحَدِيقَةَ ، فَتَزَوَّجَهَا عُمَرُ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ بِهَا أَوْكَمَ ، فَدَنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ خِذْرَاهَا وَقَالَ :  
فَالَيْتَ لَا تَنْفَكَ عَيْنِي سَخِينَةَ عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكَ جِلْدِي أَغْبَرًا !  
فَبَكَتْ ، فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَرَدْتُ إِلَّا أَنْ تَفْسِدَ عَلَيْنَا أَهْلَنَا . وَيَقَالُ : قَالَ هَذِهِ  
الْمَقَالَةُ لَهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ . فَلَمَّا قَتَلَ عُمَرَ قَالَتْ :

فَجَعَنِي فَيُورِزُ لَا ذُرَّ دُرُّهُ بِأَبْيَضَ تَالٍ لِلْقُرْآنِ مَنِيْبٍ  
رُؤُوفٍ عَلَى الْأَدْنَى غَلِيظٍ عَلَى الْعَدَى أَخِي ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ نَجِيْبٍ  
مَتَى مَا يَقِلْ لَا يُكْذِبُ الْقَوْلَ فَعَلُهُ سَرِيعٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرِ قُطُوبٍ  
وَقَالَتْ :

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَجِيْبٍ لَا تَغْلِي عَلَى الْإِمَامِ النَّجِيْبِ  
فَجَعَنِي الْمَنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُقْدِمِ يَوْمَ الْهِيَاكِ وَالتَّذْيِيبِ<sup>(١)</sup>  
عَصْمَةُ النَّاسِ وَالْمَعِينُ عَلَى الذَّهْرِ وَغِيْثُ الْمُنْتَابِ وَالْمَحْرُوبِ  
قُلْ لِأَهْلِ الضَّرَاءِ وَالْبَاسِ مَوْتُوا قَدْ سَقَتُهُ الْمَنُونُ كَأْسَ شُعُوبٍ  
فَخَطَبَهَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَمَشَى فِي أَمْرِهَا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ فَأُفْسِدَ عَلَيْهِ ،  
فَتَزَوَّجَهَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، فَهَاهَا عَنْ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَالَتْ : أَتَنْهَانِي عَنْ  
الْخُرُوجِ إِلَى الصَّلَاةِ وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَا تَنْعَمُوا إِمَاءَ اللَّهِ مِنْ  
مَسَاجِدِ اللَّهِ » . فَأَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ أَيَّامًا ثُمَّ قَعَدَ لَهَا فِي طَرِيقِهَا لَيْلًا ، فَلَمَّا مَرَّتْ بِهِ  
ضَرَبَ عَجِيزَتَهَا بِيَدِهِ ... فَرَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا وَاسْتَرْجَعَتْ وَقَالَتْ : سُوءَةٌ ، إِنَّا لِلَّهِ .

(١) التذيب : إكثار الذب والدفع .

وتركت الخروج، فقال لها الزبير : مالك تركت الصلاة في المسجد؟ قالت : قد  
فسد الناس أبا عبد الله ! فقتل عنها فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرّد  
يا عمرو لو نبّهته لوجدته لا طائشاً رعى الجنان ولا اليد  
شلت يمينك إن قتلت مسلماً حلت عليك عقوبة المتعمّد  
كم غمرة قد خاضها لم ينه عنها طرادك يا ابن فقع القرد  
ثم خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت : إني أشفق عليك من القتل،  
لم أتزوج رجلاً إلا قُتل : فتزوجها محمد بن أبي بكر، فخرجت معه إلى مصر فقتل  
ومثل به، فقالت :

إن نقتلوا أم تمثّلوا بمحمد فما كان من شأن النساء ولا الخمر  
فتزوجها عمرو بن العاص .

\* \* \*



## تحفة الأبيي فيمن نسب إلى غير أبيي

للفيروز آبادي (\*)

قال المؤلف :

« هذا كتاب وضعته في ذكر من نسب إلى اثنين من آبائه وأمهاته ، أو إلى غير أبيه ثم جدّاته ، أو أجنبي من ربّاه أو تبنّاه أو غير ذلك من حالاته ، وذلك لما رأيت قراء الحديث نزّل مفصلهم<sup>(١)</sup> فيلحنون في ذلك وأخواته ، فأفردته في جزء راجياً أن يكون لوجه الله تعالى بحتاً لرؤم<sup>(٢)</sup> مرضاته..» .

والكتاب صغير الحجم (١٣ صفحة) نكتفي بالإشارة إلى بعض ما ورد فيه :

● بشير بن عقرية : عقرية أمه. والعقرية في كلام العرب : المرأة العاقلة الخدوم . وبشير صحابي، ولم أقف على اسم أبيه . وكنيته أبو اليمان، نزل الشام، روى حديثاً واحداً وهو : « من قام بخطبة لا يلمس بها إلا رياء وسُمة وقفه الله عز وجل يوم القيامة موقف رياء وسُمة» .

---

(\*) كتاب تحفة الأبيي فيمن نسب إلى غير أبيه، موجود ضمن المجموعة الأولى من «نوادير المخطوطات» بتحقيق عبدالسلام هارون .. ط ٢ .. القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ص ص ٩٧ - ١١٠ .

والمؤلف - كما عرّف به المحقق في مقدمته - في غنى عن التعريف فهو صاحب القاموس المحيط : أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي ، مولده بكارزين من بلاد فارس سنة ٨٧٢٩هـ ، أخذ العلم عن مشايخ العلم بالعراق ومصر والشام والروم والهند ، ثم دخل زبيد سنة ٨٧٩٦هـ فلقاه سلطان اليمن الأشرف إسماعيل، وولاه قضاء اليمن كله، واستمرّ يزيد عشرين سنة ، وتوفي بها سنة ٨٨١٧هـ .

وهذا الكتاب يشبه في موضوعه الكتاب السابق لهذا ، ويمتاز بأنه لم يختص بذكر الشعراء فحسب ، بل هو عام في ذلك .

و «الأبيي» - من عنوان الكتاب - : وصف، من أبه للشيء وبالشيء ، أي فطن له .

(١) المفصل : جمع مفصل ، كمنبر ، وهو اللسان .

(٢) البحث : الخالص . الرؤم : الطلب .

● عاصم بن بَهْدَلَة، أبو بكر الأسدي، من القراء، وبهذلة أمه . وهو عاصم ابن أبي النجود. والبهذلة : الإسراع والخفة في المشي. والبَهْدَل : جرو الضئيع .  
● علقمة بن الفغواء، صحابي... وهو علقمة بن عبيد الخزاعي. والفغواء : لقب أمه . والفغا : مَيْل في القم .

● عمرو بن شعواء الياضي، صحابي. شعواء أمه، ولم أقف على اسم أبيه .  
والشعواء : المنتشرة الشعر، ومنه شجرة شعواء : منتشرة الأغصان. وغارة شعواء : متفرقة .

● محمد بن القُوطِيَة . وهي أمه، نُسبت إلى قُوط بن حام بن نوح . وهو أبو السودان والهند والسند . وهو محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى ابن مزاحم الأندلسي الإشبيلي الأصل، القرطبي المولد . كان من أعلم أهل زمانه ، ماهراً باللغة والعربية، حافظاً للحديث والفقه والشعر، لا يلحق شأوه . وكان متسكاً متعبداً .

حكى أبو بكر يحيى بن هذيل التميمي، أنه توجه يوماً إلى ضيعة له بسفح جبل قرطبة ، وهو من بقاع الأرض الطيبة المونقة ، وصادف ابن القوطية صادراً عنها . قال : فلما رأيته عرج علي واستبشّ بِلِقائي ، فقلت له على البديهة مداعباً :  
من أين أقبلت يا مَنْ لا شبيه له      ومَنْ هو الشمس والدنيا له فلك  
فتبسّم وأجاب بسرعة :

من منزل يُعجبُ النَّسَّاءَ حَلَوُثُهُ      وفيه سِتْرٌ عن الفُتَّاكِ إن فتكوا

★ ★ ★

## بحقّ الدواعي المجانين لابن حبيب النيسابوري (\*)

قال المؤلف رحمه الله :

« سألني بعض أصحابي.. أن أصنّف كتاباً في «عقلاء المجانين» وأوصافهم وأخبارهم، وكنت أتغامس<sup>(١)</sup> عنه إلى أن تمادى به السؤال، فلم أجد بداً من إسعافه بطلبته، وإجابته إلى بغيته... وهو كتاب يكفي الناظر فيه الترداد وتصفح الكتاب، وأرجو أني لم أسبق إلى مثله ». .  
وذكر في مقدمته أن المجنون عند الناس من يسمّع<sup>(٢)</sup> ويسبّ ويرمي ويحرق

---

(\*) عقلاء المجانين . لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري ، توفي سنة ٥٠٦هـ ، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول .- بيروت : دار الكتب العلمية ، [١٤٠-١٩٨م] ، ١٦٠ صفحة .

والكتاب تحقيقه ضعيف، قدّم له المحقق بأربعة أسطر، ونقل نصف صفحة عما قاله عمّد كرد علي في الكتاب ، وصفحة ترجم فيها للمؤلف ، وأورد فهرساً واحداً للموضوعات ، ولم يذكر ما اعتمد عليه في تحقيقه من مخطوط أو مطبوع ، كما لا توجد في الموامش أية إشارة إلى مقابلة نسخ ، إضافة إلى أخطاء لا تحصى .

والمؤلف - كما في الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢١٣ - ط ٥ - هو :  
الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب ، أبو القاسم النيسابوري : أديب، واعظ، مفسر، صاحب «عقلاء المجانين» صنف في القراءات والتفسير والأدب . وتناقل الناس تصانيفه . ومن كتبه «التنزيل وترتيبه» كان كرامى المذهب ، ثم تحول شافعيّاً . وله شعر جيد في الوعظ، أورد «الداودي» ثلاث قطع منه نقلًا عن ياقوت .

كما صدر الكتاب ضمن مجموعة الرسائل الكمالية (رقم ١٢) .- الطائفت : مكتبة المعارف ، ضمن مجموعة حمل عنوان (في الملح والطرائف) .

- كما صدر بتحقيق عمر الأسعد عن دار النفائس ببيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ٣٨٤ ص .  
(١) من معاني «غمس» التي جاءت في المعجم الوسيط : غاب، ويبدو أن هذا هو المقصود بها .  
(٢) سمّع بفلان : شهره وفضحه، وأذاع عنه عيّا .

الثوب، أو من يخالفهم في عاداتهم فيجيء بما ينكرون، ولذلك سمّت الأمم الرسل مجانين لأنهم شقّوا عصاهم فنبذوهم وأتوا بخلاف ما هم فيه .  
ثم أورد ما اهتمت به قريش النبي ﷺ من الجنون.. والعبر المستفادة من هذه الأخبار .

وعن أصل الجنون - في اللغة - قال إنه يعني الاستار . ومن أسماء المجنون في اللغة :  
الأحمق .

والمعتوه : وهو الذي يولد مجنوناً .  
والأخرق : وهو الذي لا يحسن التقدير والتدبير .  
والمائق ، والموق : [الحمق في غباوة] .  
والرقيق والمرقعان : وهو الأحمق الذي يتمزق عليه رأيه وعقله .  
والممسوس : وهو الذي يتخبطه الجن أو الشيطان .  
والمخبل ، والأنوك، والبوهة، والدولة، والموتة، والنطاة، والعرهاة، والأولق،  
والمهوس، والهلابة : وهو الأحمق الكثير الأكل، واللّع : وهو الأحمق اللثيم،  
والجذب، والهجاجة : وهو الأحمق الكثير الخطأ، والرشاع، والزهدن، والملغ،  
والجعبس، والمألوس .. ثم أورد الأمثال المضروبة في الحمق والحمقى، وأسماء جنون  
الدواب، وضروب المجانين..  
قيل لأحدهم : من المجنون ؟ قال : من لم يبال ما نقص من دينه بعد أن سلمت له  
دنياه .

ويقول الفضيل بن عياض : دعاك الله إلى دار السلام، وقد آثرت في دنياك المقام،  
وحذرك عدوك الشيطان، وأنت مؤالفه طول الزمان، وأمرك بخلاف هوك، وأنت  
معانیه صباحك ومساءك، فهل الحمق إلا ما أنت فيه ؟  
ثم بيّن من يسمى مجنوناً بلا حقيقة، كالشباب والمتصاني والسكران .  
وأورد في الفسق قول أحدهم :

ألا قل للأحبة يرفقوننا فإن الحب أورثنا الجنونا

ولبعض الأعراب :

أحبك حباً لو علمت بيعضه أصابك من وجد عليك جنون  
لطيفاً على الأحشاء أما نهاره فسكت وأما ليله فأنين  
ورأى أحدهم مجنوناً مصفداً بالحديد يتمرغ في التراب ويقول :

ألا ليت أن الحب يعشق مرة فيعرف ماذا كان بالناس يصنع  
يقولون خذ بالصبر إنك هالك وللصبر مني في مصابي أجزع  
ثم ذكر من تجانّ وتحمق وهو صحيح العقل ليرى شأنه ويستره على الناس .  
وأورد فصلاً لمن تحامق لينال غنى ، ومنه قول أحدهم :

جنت نفسي لكي أنال غنى فالعقل في ذا الزمان حرمان  
يا عاذلي لا تلم أحمق تضحك منه فالحمق ألوان  
وفي «من تحامق ليرخي وقتاً ويطيب عيشاً» أورد :

تحامق تطب عيشاً ولا تك عاقلاً فعقل الفتى في ذا الزمان عدوه  
فكم قد رأينا ذا نهي صار خاملاً وذا حمق في الحمق منه سموه  
وأورد في فصل «من تحامق لينجو من بلاء وآفة» قصة إدخال عبادة الخنث  
على الوثائق، والناس يضربون ويقتلون في امتحان خلق القرآن، فقال في نفسه :  
والله لمن امتحنتي قتلني، فبدأته فقلت : أعظم الله أجرك أيها الخليفة . قال :  
فيمن ؟ قلت : في القرآن . قال : ويحك، والقرآن يموت ؟ قلت : نعم كل مخلوق  
يموت، فإذا مات القرآن في شعبان فبأي شيء يصلي الناس في رمضان ؟ فقال :  
أخرجوه فإنه مجنون .

وبانتهاء الفصول تبدأ قصص «عقلاء المجانين» حيث يذكر المؤلف اسم «العاقل  
المجنون» ، ثم يورد الأخبار التي قيلت عنه، حتى آخر الكتاب .

ومن هؤلاء : سعدون المجنون المتوفى سنة ٥١٩٠ هـ ، وكان من عقلاء المجانين  
وحكمائهم - كما قال ابن الجوزي - وله أخبار ملاح وكلام سديد ونظم ونثر،  
يستحسن الطوف في البلاد، ودوّنت أخباره .

يقول سعدون :

أرى كل إنسان يرى عيب غيره  
وما خير من تخفى عليه عيوبه  
وكيف أرى عيباً وعيبي ظاهر  
وقال مرة :

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكي  
وقال مرة لهارون الرشيد :

هب الدنيا تواتيكها  
فما تصنع بالدنيا  
ألا يا طالب الدنيا  
فما أضحكك الدهر

وكتب إلى المأمون وقد بنى قصرأ :

يامن بنى القصر في الدنيا وشيّد  
لو كنت تغني بذخر أنت ذاخره  
والموت مصطبح منكم ومغتبق  
واذكر ثموداً وعاداً أين أنفسهم  
وخرج الرشيد إلى الحج فلما كان بظاهر الكوفة إذ بصر بهلولاً المجنون على

قصة وخلفه الصبيان وهو يعدو فقال : من هذا ؟ قالوا : بهلول المجنون. قال :  
كنت أشتي أن أراه فادعوه من غير ترويع، فقالوا له : أجب أمير المؤمنين، فعدا  
على قصبته، فقال الرشيد : السلام عليك يا بهلول، فقال : وعليك السلام يا أمير  
المؤمنين، قال : كنت إليك بالأشواق، قال : لكني لم أشتق إليك، قال : عظمي  
يا بهلول، قال : وبم أعظك ؟ هذه قصورهم وهذه قبورهم، قال : زدني فقد  
أحسن، قال : يا أمير المؤمنين، من رزقه الله مالاً وجمالاً فعف في جماله وواسى في  
ماله كتب في ديوان الأبرار؛ فظن الرشيد أنه يريد شيئاً فقال : قد أمرنا لك أن  
تقضي دينك، فقال : لا يا أمير المؤمنين، لا يقضى الدين بدين، اردد الحق إلى أهله

واقض دين نفسك من نفسك. قال : فإننا قد أمرنا أن يجرى عليك، فقال : يا أمير المؤمنين أترى الله يعطيك وينساني ؟ ثم ولى هارباً .

وقال بعض أهل الكوفة : ولد لبعض أمراء الكوفة ابنة فسأه ذلك، فاحتجب وامتنع من الطعام والشراب، فأتى بهلول حاجبه فقال : ائذن لي على الأمير، هذا وقت دخولي عليه. فلما وقف بين يديه قال : أيها الأمير ما هذا الحزن ؟ أبجزعت لذات سوى هيأته رب العالمين ؟ أيسرك أن لك مكانها ابناً مثلي ؟ قال : ويحك فرجت عني . فدعا بالطعام وأذن للناس .  
ولبهلول :

إذا خان الأمير وكتباه وقاضي الأرض داهن في القضاء  
فويل ثم ويل ثم ويل لأهل الأرض من أهل السماء  
وسئل بهلول عن رجل مات وخلف ابناً وابنة وزوجة ولم يخلف من المال  
شيئاً ، كيف تكون القسمة ؟ فقال : للابنة الثلكل، وللزوجة خراب البيت، وما  
بقي من الهمم فللعصبة !

قال السري مولى ثوبان : أدركت بالكوفة مجنوناً يقال له عليان، وكان يأوي  
إلى دكان طحان، وكانت معه عصي لا تفارقه، وكان الصبيان قد علموا وقت  
مسيره إلى الدكان، فيجتمعون ويعبثون به، فإذا بلغت أذيتهم منه قال للطحان : قد  
حمي الوطيس وطاب اللقاء وأنا على بصيرة من أمري فما ترى ؟ فيقول : شأنك،  
فيثب وهو يقول :

إذا همم ألقى بين عينيه عزمه وأعرض عن ذكر العواقب جانباً  
ثم يشد معزره ويقول :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بإظهار  
ثم يتناول العصا ويشد عليهم ويقول :

أشد على الكتيبة لأبالي أحتفي كان فيها أم سواها  
والصبيان يهربون، فإذا أرهقهم طرح الصبيان أنفسهم وكشفوا عن عوراتهم،  
فيعرض عنهم ويقول : عورة المؤمن حمى، لولا ذلك لتلف عمرو بن العاص يوم

صفين، والأخذ بكلام علي رضي الله عنه أولى بنا، أمرنا أن لاتبع مولياً ولا نذف على جريح، ثم يرجع ويقول :

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كراس الحية المتوقد  
ثم يعود إلى دكان الطحان ويلقي عصاه ويتمثل :

وألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر  
وورد عن جعيفرن الموسوس - من أهل سامر، توفي سنة ٢٠٨ هـ - ما حكاه  
عبدالله بن عثمان، قال : أبطأ عنا جعيفران يوماً، ثم عاد إلينا وهو عريان يشتد،  
والصبيان يرمونه بالحجارة، فسلم علي وقال : يا عبد الله :

رأيت الناس يدعوني بمجنوناً على حال  
ولو كنت كفارون وفرعون بإقبال  
وما ذا عليّ حق ولكن هية المال  
قلت : أيحضرك شيء على غير هذه القافية في هذا المعنى حتى نعلم أنك شاعر،  
فقال :

رأيت الناس يدعوني بمجنون على عمد  
وما بي اليوم من حسن ولا لبس ولا عقد  
ولو كنت كفارون ووالي رجة الجنـد  
رأوني راجح العقل جميلاً حسن القـد  
وما ذاك عليّ حق ولكن هية النقـد

فقلت : أعندك مزيد من هذا ؟ فإن جئت بالثالثة أقررت لك بأنك شاعر  
فأطرق ثم قال :

قم بنا إلى المنزل فقمنا معه فقال :

رأيت الناس يرموني بوسواس لأيامي  
وما كنت أخا موق قديماً قبل تيامي  
ولكنني أرى ذاك لإقداعي وإعلامي  
ولو كنت أخا ملك وإسراج وإلجام



إذا أكرمني الناس ولم أرم بالمام  
وكانوا كل أوقات ياهون بإكرامي  
قال : فأدخلته منزلي وغديته وقعدت أنا وقوم من أصحابنا ثم عاتبناه على  
ما صنع بنفسه ووبخناه بأنواع اللوم فأنشأ يقول :

رأيت الناس أحياناً ليرموني بوسواس  
ومن يضبط يا هذا مقال الناس في الناس  
فدع ما قاله الناس وعجل صفوة الكاس  
فإن الناس يغفرون بأمثالي وأجناسي  
ولو كنت أخا ملك أتوني بين جلالي  
يقومون ويفدون على الرجلين والراس  
ثم قال : يافتي هذه أربعة وقام قومة، فقال لي أحد أصحابي : لو جئنا بقينة،  
قلت : ومن يجيء بقينة بين يدي مجنون ؟ دعونا اليوم نلهو فقد حلّ علينا، فقال :

وندامي أكلوني إن تغيبت قليلاً  
زعموا أنني مجنون أرى العري جميلاً  
كيف لا أرعى وما لبصر في الناس مثيلاً  
باسطاً للجود كفاً قائلاً خيراً مقولاً  
إنني أهوى كرام الناس لا أهوى البخيلاً  
إن أكن سؤتكم اليوم فخلوا لي سبيلاً  
وابتغوا غيري نديماً لكم مني بديلاً  
وأتموا يومكم حياً كم الله طويلاً<sup>(١)</sup>

قال : فندمنا على ما كان منا فقلنا له : معك نلذ ونفرح، فأتيناه بثوب فطرحناه  
عليه وأتيناه بقينة فأنشدت له :

---

(١) يوجد خلل في وزن بعض الأبيات هنا وهناك.. وقد نقلت الأبيات كما هي في الكتاب، كما أشرت إلى

أن تحقيق الكتاب ضعيف !

لا تزوج فتلك  
إن للعرس مرجعاً  
لا يغرّنك سقف  
وأنشد حيان بن خيثم المجنون :

حذرك اليوم حذركا  
عينا يورث البكا  
ت وفرش ومتكا

فهام بحب الله في القفر ساجداً  
نناه النہی فارتاح للخوف باطنه  
فلما جرى في القلب ماء يقينه  
طوى دهره بالصوم حتى كأنما  
فعاد بحزن قد جرى في ضميره  
يسر الفتى ما كان قدّم من تقى  
وقال بعضهم :

خرج أبو جوالق يوماً فلقيه بعض أصدقائه فقال : إلى أين يا أبو جوالق ؟ فقال : أشتري حماراً . فقال له صديقه : قل إن شاء الله، فقال : ما هذا موضع إن شاء الله، الدراهم في كمي والحمار في السوق. قال : ومضى إلى السوق فسُرقت منه دراهمه، فعاد فرآه صديقه حزيناً فقال له : اشتريت الحمار ؟ فقال له : سُرقت الدراهم إن شاء الله .

وقال عمرو بن مدرك : مرّ عبدان المجنون يوماً بقوم من بني تيم الله بن ثعلبة، فعبثوا به وآذوه فقال : يا بني تيم الله، ما أعلم في الدنيا خيراً منكم، قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : بنو أسد ليس فيهم مجنون غيري وقد قيدوني وسلسلوني، وكلكم مجانين ليس فيكم مقيد واحد .

وفي قصة طويلة جرت بين ميمون الواسطي والحجاج نكتطف منها قطعة صغيرة، وهي عندما قال الحجاج : يا ميمون امدحني فأحسن جائزتك. قال : يا حجاج ! والله ما أعرف فيك خيراً فأقوله، وإن قلت ما أعرف فيك ذممتك، ولكن ما أذم الناس، لأن في نفسي ما شغلني عن عيب غيره. قال الحجاج : قد

أمرت لك بأربعة آلاف درهم. قال : المال فُرِّدَ إلى الموضع الذي سرق منه، ولا تكن لصاً جواداً تجود به على من إن ذمَّك لا يضرك، وإن مدحك لا ينفعك. خلَّ سبيلي أسأل الله قوتاً يغني عن نوالك ونوال أضرابك. فخلَّى سبيله ..

وقال أبو إسحق بن إبراهيم الأتلي : رأيت غورك المجنون يوماً خارجاً من الحمام والصبيان قيام يضربونه ويؤذونه وهو يكي فقلت له : ما خبرك يا أبا محمد ؟ قال : قد آذاني هؤلاء الصبيان، أما يكفيني ما أنا فيه من العشق والجنون ؟ قلت : ما أظنك بمجنون. قال : بلى والله وبني عشق شديد. قلت : هل قلت في عشقك شيئاً ؟ قال : نعم، ثم أنشد :

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو      فهذا له حدٌ وهذا له حدٌ  
هما استوطنا قلبي وجسمي كلاهما      فلم يبق لي قلب صحيح ولا جلد  
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا      على مهجة أن لا يفارقها الجهد  
وأني طبيب يستطيع بحيلة      يعالج من داءين ما منهما بدٌ  
وقال محمد بن الزراد : قلت لغورك يوماً : أخبرني بأحسن ما قلت في الحب.  
قال :

كنمت جنوني وهو في القلب كامن      فلما استوى والحب أغلبه الحبُّ  
وقلبي والجسم الصحيح مذيبة      فلما أذاب الجسم ذلَّ له القلب  
فجسمي نخيل للجنون وللهوى      فهذا له نهب وهذا له نهب  
ورأى محمد بن المبارك عباساً المجنون وهو يهيم في جبل لبنان، فلما رآه استخفى منه، فناشده الله أن يظهر فظهر، فقال له : كيف تصبر على الوحدة في هذه القفار، فضحك وأنشأ يقول :

يا حبيب القلوب من لي سواكا      ارحم اليوم مذنباً قد أتاكا  
أنت سؤلي ومنيتي وسروري      قد أبى القلب أن يحب سواكا  
يا مرادي وسيدي واعتمادي      طال شوقي متى يكون لقاكا  
ليس سؤلي من الجنان نعيم      غير أنني أريدهم — لأراكا

وعن مجانين الأعراب يورد قصة مجنون من بني سعد حكاهما الأصمعي حيث قال :

بينما أنا قاعد عند محمد بن سليمان الهاشمي والي البصرة، إذ دخل عليه رجل فقال : أصلح الله الأمير، إن بالمربد أعرابياً معجوناً من بني سعد لا يتكلم إلا بالشعر، فقال : عليّ به، فأتي به، فلما نظر الأعرابي إليه أنشأ يقول :

حيّاك رب للناس من أمير يا فاضل الأصل عظيم الخير  
فقال محمد : وأنت فحيّاك الله يا أنا بني سعد، فقال الأعرابي :

إني أتاني الفارس الجلواز<sup>(١)</sup> والقلب قد طار به اهتزاز

فقال الأمير : إنما يعثنا إليك لنشتري ناقةك، فقال الأعرابي :

ما قال شيئاً في شراء الناقة وقد أتى بالجهل والحماقه  
قال الأمير : وما الذي أتى ؟ فقال :

قد شقّ سربالي وشقّ بردتي وكان زيني في الملا ومجدتي  
فقال الأمير : إذا نخلع عليك. فقال الأعرابي :

نعمك الله وأرخى بالك وأكثر الله لنا أمثالك  
فقال الأمير : بكم اشتريتها ؟ فقال :

شراؤها عشر بيطن مكه من الدنانير القيام السكه  
ولن أبيع الدهر أو أزداد إني لربح في الشرا معتاد  
قال الأمير : فبكم أخذها ؟ فقال :

خذها بعشر وبخمس وازنه فإنها ناقة صدوق مازنه  
فقال الأمير : بل تحط ونحسن، فقال :

سبحان ربي ذو الجلال العالي تسأل إحساني وأنت الوالي

---

(١) الشرطي -

قال الأمير : فنأخذها منك ولا نعطيك شيئاً فقال :  
فأين ربي ذو الجلال الأفضل إن أنت لم تخش الإله فافعل  
فقال الأمير : إني أسألك أن تحط. فقال الأعرابي :  
والله ما يجبرني ما تعطي لا يداني الفقر مني حطّي  
فأمر له بألف درهم وثياب من خاصة ملبسه. فقال الأعرابي :  
إني رمتني نحوك الفجاج أبو عيال معدم محتاج  
طاوي المطي مع ضيق العيش فأنبت الله لديك ريشي  
شرقتني منك بألف حاضره شرفك الله بها في الآخرة  
وكسوة ظاهرة حسان كساك ربي حلل الجنان  
قال : فضحك الأمير وقال : من زعم أن هذا مجنون ؟ وددت أني كنت  
مثله .

وساق للأصمعي حادثة أخرى حكاها عن أبي الشريك المجنون. قال : بينا أنا  
ذات يوم عند والي البصرة إذ قيل : مجنون بالباب يتكلم بالشعر. فقال : أدخلوه  
فدخل. فإذا هو رجل كأنه نخلة سحق، نتن الأطراف، موسوس، فسلم على  
الأمير، فردّ عليه السلام وقال : من أنت ؟ فقال :  
إني أنا أبو الشريك الشاعر من سأل عني فأنا ابن الفاجر  
فقال الوالي : ما أمدحك لنفسك ! فقال :  
لأنني أرثجل ارنجالا ما شئت يا من أليس الجمالا  
قال الأصمعي : فقال لي الأمير : ما هذا بمجنون فألقى عليه ما عندك. فقلت  
له : ما الرّيم ؟ فقال :

الرّيم<sup>(١)</sup> فضّل اللحم للجزار يتحرره للفتية الأيسار<sup>(٢)</sup>

(١) عظم يفضل فيعطاه الجزار .

(٢) جمع «يسر» وهم القوم المجمعون على لعب اليسر أي القمار .

فقلت : ما الحلوان ؟ فقال :

أليس ما يعطى على الكهانه والحرّ لا يقنع بالمهانه

فقلت : ما الدكاع ؟ فقال :

إن الدكاع هو سعال الماشيه والله لا تخفى عليه خافيه

قلت : فما التولة ؟ فقال :

عوذة عنق الطفل عندي توله وقد تسمى العنكبوت توله

قلت : فما الرّفة ؟ فقال :

الرّفة التبين فسل ما شيتا لقد وجدت عالماً خرّيتا

قال الأصمعي : فاستحييت من كثرة ما سألته. فقال : قل لي :

ما الهلـلـقس والسحساح والحمل الراوح لا يراح

قلت : الهلـلـقس : الطمع للحريص، والسحساح : الذي لا يستقر في موضع:

والراوح : المهزول، فقال :

ما أنت إلا حافظ للعلم أحسنت ما قلت بغير فهم

فقال الوالي : فحبذا كل مجنون مثل هذا. ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، فلما

قدم إليه المال قال :

أكل هذا هو لي بمرّه تمّ سروري واعترتني مسرّه

ثم أقبل على الأمير فقال :

رشت جناحي يا أخا قريش أقررت عيني وأطبت عيشي

ورأى إبراهيم بن أدهم ريحانة، وهي جارية سوداء، قد أثر البكاء في خديها

خطأً، فذاكرها شيئاً من أمر الآخرة فأنشأت تقول :

صبرت عن اللذات حتى تولت وألزمت نفسي صبرها فاستمرت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن أطعمت نامت وإلا تسلت

ولها أيضاً :

وما عاشق الدنيا بناج من الردى. ولا خارج منها بغير غليل

فكم ملك قد صفر الموت بيته وأخرج من ظلّ عليه ظليل  
ومما أنشدته :

تعوّذ سهر الليل فإن النوم خسـران  
ولا تركزن إلى الذنب فإن الـذنب نيران  
فكن للوحي درّاساً وللقراء أخـسـدان  
إذا ما الليل فاجاهم فهم في الليل رهـبان  
يميلون كما مال من الأرياح أغصـان  
وقال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله- : ذكرت آسية لعبدالله بن طاهر، فدعي بها،  
فأدخلت عليه، فلزمت الصمت خمسة أيام. فقال لها عبدالله : أخرساء أنت، مالك  
لا تنطقين ؟ قالت : ولكني أقول :

قالوا نراك طويل الصمت قلت لهم ما طول صمتي من عيٍّ ومن نخـرس  
الصمت أحمد في الحالين عاقبة عندي وأحسن لي من منطق شكس  
قالوا وأنت مصيب لست ذا خطأ فقلت هاتوا أروني وجه معتبس  
أنشر البرّ فيمن ليس يعرفه أم أنثر الدرّ بين العمي في الغلس  
وقال محمد بن يعقوب الأزدي عن أبيه : دخلت دير هرقل فوجدت فيه مجنوناً  
مكبلاً، فكلّمته فوجدته أدياً، فقلت : ما الذي غيرك إلى ما أرى ؟ فقال :  
نظرت إليها فاستحلت بنظرة دمي ودمي غال فأرخصه الحب  
وغاليت في حبي لها ورأت دمي رخيصاً فمن هذين داخلها العجب  
وقال الجاحظ :

رأيت مجنوناً بالكوفة فقال لي : من أنت ؟ قلت : عمرو بن بحر الجاحظ.  
قال : يزعم أهل البصرة أنك أعلمهم. قلت : إن ذلك ليقال، قال : من أشعر  
الناس ؟ قلت : امرؤ القيس. قال : حيث يقول ماذا ؟ قلت :  
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والخشف البالي  
قال : فأنا أشعر منه، قلت : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

كأن وراء السر فوق فراشها قناديل زيت من ورام قرام  
فأينا أشعر ؟ قلت : أنت، قال : فأيهما أقوى الريح أم الماء ؟ قلت : الريح،  
قال : لم تصب، قلت : وكيف ؟ قال : يقع الثوب في الماء فيبتل في طرفه عين،  
ويسط في الريح فلا يجف إلا بعد ساعات، أصبت أم أخطأت ؟ فقلت : أصبت .  
وقال ثمامة بن أشرس : دخلت دير هرقل فرأيت فيه شاباً مشدوداً إلى سارية،  
فقال لي : ما اسمك ؟ قلت : ثمامة، قال : المتكلم ؟ قلت : نعم، قال : يا ثمامة هل  
للنوم لذة ؟ قلت : نعم، قال : متى يجدها صاحبها ؟ قال : إن قلتُ قبل النوم  
أجلت، وإن قلت مع النوم أخطأت، لأنه ذاهب العقل، وإن قلت بعد النوم  
أخطأت لأنه قد انقضى، قلت : وماذا تقول أنت ؟ قال : إن النعاس داء يحلُّ  
بالبدن ودواؤه النوم .

قال أبو غسان الإسماعيلي :

دخلت البصرة فرأيت شيخاً مجنوناً قد غُلَّت يداه، وأحدث به الناس، فرحمته  
وأزحت الناس عنه، فتنفس الصعداء، واستعبر، ثم قال :  
لقد صبرت على المكروه أسمع من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا  
وفيك داريت أقواماً أجاملهم ولولاك ما كنت أدري أنهم خُلِقوا  
الحمد لله حمداً لا شريك له كأنني بدعة من بين من عشقوا

\* \* \*



## البراءة في حديثه

لبدر الدين الغزي (\*)

قال المؤلف :

قد ورد في ذم المزاح ومدحه أخبار، فحملنا ما ورد في ذمه على ما إذا وصل إلى حدّ المتابعة والإكثار . فإنه إزاحة عن الحقوق، ومخرج إلى القطيعة والعقوق . يصمّ المازح، ويضم الممازح... وربما كان للعداوة والتباغض سبباً... فحقّ العاقل يتقيه، وينزّه نفسه عن وصمة مساويه .

.....

عن يوسف بن محمد الصّهيبي عن أبيه قال : قدم صهيب من مكة، فنزل على النبي ﷺ وهو يشتكي عينيه، وهو يأكل تمرأ، فقال : أيا صهيب تأكل التمر على علة عينيك ؟ فقال : إنما آكل من الشق الصحيح<sup>(١)</sup> . فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه .

وإنما استجاز صهيب أن يعرض لرسول الله ﷺ بالمزح في جوابه، لأن استخباره قد كان يتضمن المزح .

وعن النعمان بن بشير قال : استأذن أبو بكر - رضي الله عنه - على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً . فلما دخل تناوّلها ليلطّمها وقال : لا أراك ترفعين .

---

(\*) المراح في المزاح . بدر الدين أبو البركات محمد الغزي ؛ تعليق أحمد عبيد . ط ٢ . اللطائف : مكتبة المعارف، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ضمن مجموع (في الملح واللطائف) سلسلة مجموعة الرسائل الكمالية - ١٢ ص ص ٢٩٩ - ٣٥٦ .

وقد اعتملنا في تخرج ماورد على ما ذكره المحقق .

كما وردت ترجمة المؤلف أثناء عرض كتابه ( آداب المؤاكلة ) .

(١) قال العراقي في تخرج أحاديث الإحياء : روله ابن ماجه وإلحاقه من حديث صهيب، ورجاله ثقات .

صوتك على رسول الله ﷺ ، فجعل رسول الله ﷺ يحجزه . وخرج أبو بكر مغضباً . فقال النبي ﷺ [ أي لعائشة ] حين خرج أبو بكر : كيف رأيتني أنقذتك من الرجل ؟ قال : فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذن فوجدهما قد اصطلحا ، فقال لهما : أدخلاني في سلّمكما كما أدخلتاني في حربكما . فقال النبي ﷺ : قد فعلنا <sup>(١)</sup> .

وعن زينب بنت أبي سلمة قالت : دخلتُ على النبي ﷺ وهو يغتسل ، فأخذ حنفية من ماء فضرب بها وجهها وقال : يالكاع <sup>(٢)</sup> .  
وأورد المحقق في الهامش أنه ﷺ مجّ مجة من دلو في وجه محمود بن الربيع وهو ابن خمس سنين يمازحه <sup>(٣)</sup> .

وعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : قالت عائشة : كان عندي رسول الله ﷺ وسودة ، فصنعت خزيراً <sup>(٤)</sup> ، فجئت به فقلت لسودة : كلي ، فقالت : لا أحبه ، فقلت : والله لتأكلين أو لألطخن وجهك ، فقالت : ما أنا بياغية . فأخذت شيئاً من الصحيفة فلطخت به وجهها ورسول الله ﷺ ما بيني وبينها ، فخفض لها رسول الله ﷺ ركبته لتستقيد مني ، فتناولت من الصحيفة شيئاً فمسحت به وجهي ، وجعل رسول الله ﷺ يضحك <sup>(٥)</sup> ..  
ونظر عمر بن الخطاب إلى أعرابي يصلي صلاة خفيفة، فلما قضاها قال : اللهم زوّجني بالخور العين . فقال عمر : أسأت النقد وأعظمت الخطبة <sup>(٦)</sup> .

---

(١) قال في المشكاة : رواه أبو داود .

(٢) ذكرت هذه القصة بألفاظ أخرى في الإصابة والاستيعاب والمواهب اللدنية وأسد الغابة .

(٣) رواه الشيخان وغيرهما .

(٤) لحم يقطع ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذرّ عليه الدقيق .

(٥) قال العراقي في تخرّيج أحاديث الإحياء : رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح وأبو يعلى

بإسناد جيد . وقال القسطلاني في المواهب : رواه ابن غيلان من حديث الهامشي وأخرجه الملاء في سيرته

(٦) أسأت النقد : كناية عن قلة المهر .

وعن أبي بكره : أن أعرابياً وقف على عمر بن الخطاب فقال :  
يا عُمَرُ الخير جُزِيَتْ الجنةُ أَكسُ بُنْيَاتِي وَأُمَهْنُـةُ  
وكن لنا من الزمان جُنةً أقسم بالله لتفعلنَّـةُ  
فقال عمر : وإن لم أفعل أكون ماذا ؟ فقال :  
إذا أبا حفص لأمضيتهُ

قال : فإن قضيت يكون ماذا ؟ فقال :  
والله عنهنَّ لَتُسألنَّ يومَ تكونُ الأعطياتُ مِنَّه  
وموقفُ المسؤولِ بينهنَّ إما إلى نارٍ وإما إلى جنةٍ  
فبكى عمر حتى اخضلتَ لحيته ثم قال لغلامه : يا غلام : أعطه قميصي هذا  
لذلك اليوم لا لشعره ، ثم قال : والله لا أملك غيره .

وعن نافع مولى عبد الله بن عمر قال : كان عبد الله بن عمر يمازح مولاةً له  
فيقول لها : خلقي خالتي الكرام ، وخلقي خالتي اللثام . فتغضب وتصبح وتبكي ،  
ويضحك عبد الله بن عمر .  
وعن عبد الله بن كثير قال :

اقتل غلمانُ عبد الله بن عباس وغلمانُ عائشة ، فأخبرَتْ عائشة بذلك ،  
فخرجت في هودج لها على بغلة لها ، فلقيها ابن أبي عتيق فقال لها : يا أمي جعلني  
الله فداك أين تريدان ؟ قالت : بلغني أن غلmani وغلمان ابن عباس اقتلوا فركبت  
لأصلحَ بينهم ، فقال : يعتق ما يملك إن لم ترجعي . فقالت : ما حملك على هذا  
الكلام ؟ قال : ما انقضى عنا يوم الجمل حتى تريدان أن تأتينا بيوم البغلة ؟

وعن عبد الله بن سرجس قال : أتى الضحاكُ بن سفيان الكلابي إلى رسول الله  
ﷺ قبل بيعته ثم قال : عندي امرأتان أحسن من هذه الحميراء أفلا أنزل لك عن  
إحداهما فتزوجهما ؟ وعائشة جالسة تسمع قبل أن يُضربَ الحجاب ، فقالت :  
أهي أحسن أم أنت ؟ قال : بل أنا أحسن منها وأكرم . وكان امرءاً دميماً قبيحاً .

قال : فضحك النبي ﷺ من مسألة عائشة إياه<sup>(١)</sup> .

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال :

أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم، فسلمتُ فردُّ علي وقال : ادخل. فقلت : أكلِّي يا رسول الله ؟ قال : كُلُّكَ. فدخلتُ. قيل : إنما قال ادخلُ كُلِّي من صِعَر القبة<sup>(٢)</sup> .

وعن عبدالله بن رواحة أنه كان له جارية ، فاعتمته امرأته أن يكون أصابها فقالت : إنك الآن جُنُبٌ منها . فأنكر ذلك، فقالت : فإن كنت صادقاً فاقرأ القرآن ؛ وقد عهَدْتُهُ لا يقرأ القرآن وهو جنب ، فقال :

شهدت بأن دين الله حق وأن النار مشوى الكافرينا وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش ربُّ العالمينا وتحمله ثمانية شداد ملائكة الإله مسؤمينا .... ثم غدا على رسول الله ﷺ فأخبره فضحك حتى بدت نواجذه .

وعن عمرو بن دينار عن ابن أبي عتيق أنه مرَّ به رجل ومعه كلب فقال للرجل : ما اسمك ؟ قال : وثَّاب، قال : فما اسم كلبك ؟ قال : عمرو، فقال : واخلافاه .

وروى الشعبي في حديث النبي ﷺ : « تسَحَرُوا ولو بأن يضع أحدكم إصبعه على التراب ثم يضعها في فيه »<sup>(٣)</sup> فقال رجل : أي الأصابع ؟ فتناول الشعبي إبهام رجله وقال : هذه !

وقال له رجل : ما اسم امرأة إبليس ؟ فقال : ذاك نكاح ماشهدهناه .

---

(١) ورد بروايات متعددة...

(٢) رواه أبو داود .

(٣) قال المحقق : لم أقف على هذا الحديث إلا في أخبار الظراف والمتاجنين للحافظ ابن الجوزي .

ومما أورده المحقق في الهامش عن الشعبي أنه قيل له : هل تمرض الروح ؟ قال :  
نعم من ظل الثقلاء. قال بعض أصحابه : فمررت به يوماً وهو بين ثقيلين فقلت :  
كيف الروح ؟ قال : في النزاع .

وقال ابن عياش : رأيت على الأعمش فروة مقلوبة صوفها إلى خارج، فأصابنا  
مطر، فمررنا على كلب، فتنحى الأعمش وقال : لا يحسبنا شاة .  
ووقع بين الأعمش وامرأته وحشة، فسأل بعض أصحابه، ويقال إنه أبو حنيفة،  
أن يصلح بينهما، فقال لزوجته : هذا سيدنا وشيخنا أبو محمد، فلا يزهّدك فيه  
عمشُ عينيه، وحُموشة ساقيه، وضعف ركبتيه، وقزل رجله<sup>(١)</sup> . وجعل يصف .  
فقال الأعمش : قم عنا قبحك الله فقد ذكرت لها من عيوني ما لم تكن تعرفه .  
وجاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له : إذا نزعْتُ ثيابي ودخلت النهر أغتسل فألى  
القبلة أتوجّه أم إلى غيرها ؟ فقال له : الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك  
لئلا تُسرق .

ونكتفي بما اقتطفناه من هذا الكتاب الممتع، لنصل إلى مقاله المؤلف في أواخر  
صفحات الكتاب.. من إرشادات وإيضاحات تتصل بالموضوع..

قال :

العاقل يربأ بنفسه عن سفساف الأمور، وعن مخالطة السفلة ومزاحهم مطلقاً،  
وكذلك عن مزاح من هو أكبر منه لما ذكرنا من الحقد وخرق الحرمة، ولا بأس به  
بين الإخوان بما لا أذى فيه ولا ضرر ولا غيبة ولا شين في عرض أو دين، قاصداً  
به حسن العشرة والتواضع للإخوان والانبساط معهم ودفع الحشمة منهم من غير  
استهتار أو إخلال بمروءة أو نحوه أو استنقاص بأحد منهم...  
وأما مزاح الرجل مع أهله وملاطفتهم بأنواع الملاطفة فمن شعار المرسلين  
وأخلاق النبيين، وهو من المعاشرة بالمعروف...

---

(١) حموشة الساق دقها ؛ والقزل أسوأ العرج .

وقال عمر رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، فإذا التمس ما عنده وجد رجلاً .

ونقل نحوه عن لقمان بلفظ : ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي، فإذا كان في القوم وجد رجلاً .

ووصفت أعرابية زوجها بعد موته فقالت : لقد كان والله ضحوكاً إذا ولج، سكوتاً إذا خرج، آكلاً ما وجد، غير سائل إذا قعد .  
وقال الإمام الغزالي :

ينبغي أن لا ينبسط في الدُّعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواهن إلى حدٍّ يفسد خلقهن ويسقط هيئته بالكلية، بل يراعي الاعتدال في ذلك، فلا يدع الهية والانقباض مهما رأى منكراً، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات ألبتة . بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتنع...

وورد في آخر الكتاب أن نساء العرب كنَّ يعلمن بناتهنَّ اختبار الأزواج، تقول المرأة لابنتها : اختبري زوجك قبل الإقدام والجرأة عليه، وانزعي زُجَّ<sup>(١)</sup> رحه، فإن سكت على ذلك فقطعي العظام بسيفه، فإن صبر فاجعلي الإكاف<sup>(٢)</sup> على ظهره، فامتطيه فإنما هو حمارك .

---

(١) الزج : الحديدة التي تركب في أسفل الرح .

(٢) الإكاف : البرذعة، وهي ما يجعل على ظهر الدابة للجلوس عليه .

## التَّبْرِيّ بن مَعْرَةَ العِزِّيّ

للسيوطي (\*)

قال السيوطي :

دخل يوماً أبو العلاء المعري على الشريف المرتضى، فعثر برجل، فقال الرجل :  
من هذا الكلب ؟ فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً .  
قال السيوطي : وقد تتبعت كتب اللغة، فحصلتها ونظمتها في أرجوزة، وسميتها  
«التَّبْرِيّ من مَعْرَةَ المعري» وهي هذه :

لله حمد دائم الْوَلِيّ<sup>(١)</sup> ثم صلاته على النبي  
قد نقل الثقات عن أبي العلاء لما أتى للمرتضى ودخلا  
قال له شخص به قد عثرا من ذلك الكلب الذي ما أبصرا  
فقال في جوابه قولاً جلي معيّراً لذلك المحيّل  
الكلب من لم يدر من أسمائه سبعين، مومياً إلى علائمه  
وقد تتبعت دواوين اللغة لعلمي أجمع من ذا مبلغه  
فجئت منها عدداً كثيراً وأرتجي فيما بقي تيسيراً  
وقد نظمت ذاك في هذا الرَّجَزْ ليستفيدها الذي عنها عَجَزْ

---

(\*) التبري من معرة المعري أرجوزة ذكر فيها السيوطي أسماء الكلب، وذكر في أولها ما حمّله على تأليفها ،  
وقد اعتمد فيها المحقق على خطوطتين وأحسن في تحقيقها ، وهي من أبواب كتاب « تعريف القدماء بأبي  
العلاء » جمع وتحقيق مصطفى السقا وآخرين ، بإشراف طه حسين ، نشرها مركز تحقيق التراث بالهيئة  
المصرية العامة للكتاب عام ١٤٠٦ هـ ، ٦٩٥ ص .

ربلاحظ القارئ من مقدمة الكتاب أو الأرجوزة أن السيوطي ساق فيها أسماء الكلب ليبرئ نفسه من قول  
المعري : « الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً » أي حتى لا يلحقه هذا السب !! وقد اعتمدت في  
شرح كلمات الأرجوزة على ما ذكره المحقق باختصار، دون ذكر عناوين المراجع ، فلترجع هناك .  
(١) المراد به هنا الدوام والتابع .

فسَّه - هُدَيْتَ - بالتبْرِى  
 من ذلك : الباقع ثم الوازع  
 والخَيْطَلُ السُّخَامُ ثم الأسود  
 والأعنعى الدَّرْبَاسُ والعَمَلْسُ  
 والثَّغْمُ الطَّلَقُ مع العَوَّاءِ  
 وعُدَّ من أَسْمَائِهِ البصير  
 والعرب قد سَمَّوه قِدْماً في النفير  
 يا صاح من معرّة المعرّي  
 والكلب والأبقع ثم الزارع<sup>(١)</sup>  
 والعُرْبُج المعجوز ثم الأعقد<sup>(٢)</sup>  
 والقُطْرُب الفُرْنِي ثم الفَلْحَسُ<sup>(٣)</sup>  
 بالمد والقصر على استواء<sup>(٤)</sup>  
 وفيه لغز قاله خير<sup>(٥)</sup>  
 داعي الضمير ثم هانيء الضمير<sup>(٦)</sup>

- (١) البقع في الطير والكلاب بمنزلة البلق في الدواب . والباقع : الضيع، وقيل الغراب، وقيل كلب أبقع .  
 والوازع : الكلب، لأنه يزع الذئب عن الغنم أي يحكه .  
 والأبقع من البقع، وهو بياض في صدر الكلب الأسود .
- (٢) الخيطل : الكلب والسنور .  
 السُّخَام : ورد عند الجوهري «سحام» بالخاء المهملة .  
 العُرْبُج : كلب الصيد، الكلب للضخم..
- المعجوز : الأرنب، والأسد، والبقر، والثور، والذئبة، والرخم، والرمكة، والضيع، وعانة الوحش،  
 والعقرب، والفرس، والكلب .  
 الأعقد، سمي بذلك لالتواء ذنبه .
- (٣) الأعنعى : الكلب في عنقه بياض، الدرباس : الأسد والكلب المعقور، العملس : الذئب الخبيث  
 والكلب الخبيث، القُطْرُب : دوية يزعمون أن ليس لها قرار أكبنة، والذكر من السعال، والصغير من الكلاب،  
 الفُرْنِي : الرجل الغليظ والكلب الضخم، الفلحس : الدب المسن والكلب .
- (٤) الثغم : الضاري من الكلاب، الطلق : كلب الصيد .
- (٥) سَمِيَ بصيراً لأنه من أحدّ العيون بصراً، واللغز يشير به - كما قال المحقق - إلى ما قاله ابن الحريري في  
 المقامة الثانية والثلاثين (الطبيية) وهو : « قال : أيسْتَباح ماء الضرير، قال : نعم، ويجتنب ماء البصير » وقد  
 فسّره ابن الحريري بقوله : «الضرير : حرف الوادي، والبصير : الكلب» .
- (٦) الضمير : يراد به هنا الضيف الغريب، والهانيء : المطعم، فهو حيث دلّ الضيف على موضع القرى  
 فكانه أطعمه..



وهكذا سمّوه داعي الكرم  
وَتَمَثَّلَ كَالْبِ وَهَبْلَعُ  
ثُمَّ كُسِبَ عَلَّمَ المَذْكُورِ  
وَالْقَلَطِيّ وَالسُّلُوقِي نِسْبَةً  
وَالْمُسْتَطِيرِ هَائِجِ الْكِلَابِ  
وَالدَّرِصُ وَالْجُرُ وَثَلَاثُ الْفَا  
وَالسَّمْعِ فِيمَا قَالَهُ الصُّوْلِيُّ  
وَنَقَلُوا الرُّهْدُونَ لِلْكِلَابِ  
مِثْلَ قَطَامٍ عَلَّمًا مَبْنِيًّا  
وَحُذِّهَا الْعَوْلَقُ وَالْمُعَاوِيَةُ  
وَوُلِدَ الْكَلْبُ مِنَ الذِّبْيَةِ سَمٌّ  
وَأَلْحَقُوا بِذَلِكَ الْخَيْهَفَعِيُّ

مَشِيدُ الذِّكْرِ مَتَمُّ النِّعَمِ  
وَمَنْذَرٌ وَهَجْرَعٌ وَهَجْرَعٌ<sup>(١)</sup>  
مِنْهُ مِنَ الْهَمْزَةِ وَاللَّامِ عَرِي<sup>(٢)</sup>  
كَذَلِكَ الصُّيْنِي بِذَاكَ أَشْبَهُ<sup>(٣)</sup>  
كَذَا رَمَاهُ صَاحِبُ الْعُيَابِ<sup>(٤)</sup>  
لَوْلَدَ الْكَلْبِ أَسَامُ ثُلَغَى<sup>(٥)</sup>  
وَهُوَ أَبُو خَالِدٍ الْمَكْنِي  
وَكَلْبَةً قِيلَ لَهَا كَسَابُ<sup>(٦)</sup>  
وَكَسْبَةً كَذَاكَ نَقَلًا رُويَا<sup>(٧)</sup>  
وَلَعَوَةً وَكَانَ لِذَاكَ رَاوِيَةً<sup>(٨)</sup>  
عُسْبُورَةً وَإِنْ تُزَلَّهَا لَمْ تُلَمْ<sup>(٩)</sup>  
وَإِنْ تَمُدَّ فَهُوَ جَاءَ سَمْعًا<sup>(١٠)</sup>

- 
- (١) نَم: كلب الصيد، الكالب: اسم لجماعة الكلاب، ولعلها «كاسب»، والكواسب: الجوارح، المبلع: الكلب السلوقي، هجرع: الكلب السلوقي الخفيف .
- (٢) كُسيب: عَلَّمَ لذكور الكلاب .
- (٣) القلطى: القصير جداً من الناس والسنانير والكلاب، السلوقي: الكلب منسوب إلى سلوق، قرية باليمن، وقيل مدينة اللان. الصيني: الكلاب القصيرة القوائم .
- (٤) المستطير: الهائج من الكلاب ومن الإبل .
- (٥) الدرص: ولد الفأر واليربوع والقنفذ والأرنب والهمزة والكلبة ونحوها، الجرو: ولد الكلب والأسد، وصغير كل شيء .
- (٦) ذكر المحقق أن بعض هذه الأسماء لم تنص عليها المعاجم . ولم أشر إلى ذلك .
- (٧) كسبة: من أسماء إناث الكلاب .
- (٨) العولق: الكلبة الحريصة، المعاوية: الكلبة المستحرة تعوي إلى الكلاب إذا صرفت ويعوين، اللعوة: الكلبة الحريصة التي تقاتل على ما يؤكل .
- (٩) العسبور والعسبورة: ولد الكلب من الذببة .
- (١٠) الخيفعى: ولد الكلب من الذببة .

وولد الكلبة من ذيب سُمي  
 ثم كلاب الماء بالهَرَائِكَة  
 كذاك كلبُ الماء يُدعى القُنْدُسا  
 وكلبة الماء هي القُضاعة  
 وعَدُوا من جنسه ابن آوى  
 ودُئِلَ ودُؤِلَ والذُّالان  
 كذلك العِلُوضُ ثم التَّوْفَل  
 والوعُ والعلُوش ثم الوعُوع  
 هذا الذي من كِبِ جمعته  
 والحمد لله هنا تمام  
 أو ثعلبٍ فيما رَوَوْا بالذَّيْسَمِ  
 تُدعى وقس فرداً على ما شاكله<sup>(١)</sup>  
 فيما له ابن دَحِيَّةٌ قد اتَّسَى<sup>(٢)</sup>  
 جميع ذاك أثبتوا سماعه  
 ومن سُمَاهُ دَأَلٌ قد ساوى<sup>(٣)</sup>  
 وافتح وضَمَّ مُعْجِماً للذُّالان<sup>(٤)</sup>  
 واللُّعُوضُ السُّرْحُوبُ فيما نقلوا<sup>(٥)</sup>  
 والشَّغْبِيرُ الوأواء فيها يُسَمَّعُ<sup>(٦)</sup>  
 وما بدا من بعد ذا الحَقَّةُ  
 ثم على نبيِّه السَّلام

(١) المراكلة : ضخام السمك، أو كلاب الماء، أو جماله .

(٢) القندس : كلب الماء .

(٣) دأل : فسره في القاموس بأنه ابن آوى والذئب ودوية كاهن عرس .

(٤) الدتل والدؤل : ابن آوى .

(٥) العلوش : ابن آوى بلغة حمير. وبالصاد المهملة : الذئب، النوفل : البحر، والعطية، وبعض أولاد السباع، وذكر الضباع، وابن آوى. واللعوض : ابن آوى، وهي لغة يمانية. السرحوب : ابن آوى .

(٦) الوع : ابن آوى والثعلب. العلوش : ابن آوى والذئب، الوعوع : ابن آوى، الشغبير : ابن آوى، الوأواء : في القاموس : صياح ابن آوى، وفي اللسان : الواوا : صياح العلوص، وهو ابن آوى، إذا جاع . وما استدركه المحقق على السيوطي من أسماء الكلاب : الحنظل، والدرواس .

## المختار في كشف الأسرار للجوبري (\*)

هذا الكتاب غريب في بابه عجيب في محتوياته، فهو يكشف أسرار مهن كثيرة اعتاد الناس أن يقفوا أمامها مدهوشين.. لا يعرفون سرّ أصحابها وسرّ ما يعملون.. ويصل الأمر ببعضهم لأن يستسلموا لمثل هذه الأمور ويخضعوا لأصحابها ويذلوا لهم.. بل ويتبعوا سبلهم بعد التفرير بهم وسدّ ملكة التفكير والإبداع عندهم !! وقد كشف المؤلف هنا ثلاثين سرّاً لمهن مختلفة.. بعضها مستعمل حتى الآن.. وهي : كشف أسرار الذين يدعون النبوة..، كشف أسرار الذين يدعون المشيخة..، أسرار كذبة الوعاظ..، كذبة الرهبان..، كذبة أحبار اليهود..، أسرار بني ساسان..، الذين يمشون بالتملة السليمانية..، أهل الحراب وآلة السلاح..، أهل الكاف (الكيميائي)، العطارين، أصحاب الميم : وهم المطالبية الذين يدعون

---

(\*) المختار في كشف الأسرار . عبدالرحيم بن عمر الدمشقي المعروف بالجوبري - [دون بيانات نشر] ، ١٦١ ص . ويبدو أنه طبع قبل حوالي قرن من الزمان .. أو أقل .

وقد حصل خطأ في كتابة اسمه، فبالرجوع إلى ثلاثة مصادر تبين أنه عبد الرحمن . انظر الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٣١٩ ومعجم المؤلفين لكحالة ج ٥ ص ١٦ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ج ١ ص ٧١٩ .

كان موجوداً في أيام السلطان الأعظم الملك المسعود من ملوك بني أرئق، فحضر ذات يوم مجلسه ( في حدود سنة ٦١٨ هـ ) وقد ذكر في المجلس كتاب ابن شهيد وما كشف فيه من ذكر أرباب الصنائع والعلوم، فسأله السلطان أن يصنّف له كتاباً يحذو فيه حذوه، فوضع كتابه هذا .

وهو زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر عمر الدمشقي الحراني الجوبري . فاضل متفنن شافعي، نسبة إلى جوبر من ضواحي دمشق . له كتب منها : «المختار في كشف الأسرار، وهتك الأسرار» و«كشف أسرار الختالين ونواميس الختالين» و«الصرائط المستقيم في علم الروحانية وصناعة التنجيم» وكتاب آخر في علم الرمل . وقد رحل إلى الديار المصرية وكان مقيماً بها سنة ٦٢٦ هـ .

الوصول إلى المطالب، أصحاب السير وهم المنجمون، الذين يتكلمون على الرمل، المعزّمين، أطباء الطريق، الذين يقطعون الشرناق من العين، الذين يقلعون الدود من الضرس، الذين يصبغون الحبل، الذين يصبغون بني آدم، الذين يلعبون بالنار، الذين يعملون الطعام، الذين يمشون بالعلقات، الكتاب، المشعبذين، الجوهريين، الصيارف، الذين يدبون على المردان، أصحاب الصنائع، أصحاب المهالك، النساء .

والمؤلف - الذي يبدو أنه لم يسلم من استعمال بعض هذه المهن - يذكر في المقدمة أنه قرأ كتباً كثيرة، في الفلسفة والفلك و«فتون النواميس» والحيل والرمل والتنجيم.. الخ . وأن «السلطان» أحضر كتاب «ابن شهيد» وفيه ذكر أرباب الصنائع وكشف علومهم.. فطالعه المؤلف وتعجب من ذلك.. ثم طلب منه أن يصنف كتاباً يحذو فيه حذوه ويسلك فيه طريقه، ويكون أدقّ مسلکاً وأوضح معاني.. فوضع هذا الكتاب .

وعندما يغوص المؤلف في كشف هذه الأسرار ويرى أنه أتى بأشياء لا يكاد يقدر عليها غيره، أو أنه يرى نفسه مضطراً لكشف أسرار ولو كانت مخلة بالآداب.. يذكر أن السبب في ذلك ليعلم أنه يعرف أسرار كل المهن ! قال في ص (٧٤) من فصل كشف أسرار العطارين :

«... وكل ذلك نذكره باباً باباً ليعلم كل من يقف على كتابي هذا أنني لم أترك شيئاً من العلوم ولا من الصنائع إلا وقد بيته وبرهنت عليه وسلكت طريق أهله وانتظمت في كل مسلک..» .

وبعد أن ذكر مالا يحسن ذكره عن المردان قال في ص (١٣٩) :  
«... وإنما ذكرت ذلك ليعلم من يقف على كتابي أنني لم أترك شيئاً ولم يفتني شيء ، فافهم ذلك..» .

وهذا غرور منه - غفر الله له .

\*\*\*

وعندما يتحدث عن أسرار أدعياء النبوة والأعمال الخفية التي كانوا يقومون بها.. وخلطهم لمواد بعضها ببعض.. وتبسيطهم أموراً لا يطلع عليها إلا الخواص من أتباعهم - وذلك من باب إظهار «خوارق» كما أتى الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالمعجزات.. نجد أن بضاعتهم رخيصة.. لا ينخدع بها إلا رقيق العقيدة أو عديمها.. ولا يتبعهم إلا من وافقت نزعاته ما يدعو إليه المدعي الكذاب.. من حب للسلطة، أو طلب للشهرة، أو للمال، أو غاية معينة.. يهدف من ورائها تشويه العقائد وبث الخلاف بين الناس.. لتفريق كلمتهم، للوصول إلى تلك الغاية التي خطط لها، أو طُلب منه تنفيذها !

ومن كشف أسرارهم هنا : مسيلمة الكذاب، إسحق الأخرس، ابن سعيد اللججاني القرمطي، فارس بن يحيى الساباطي؛ وأخيراً عبدالله بن ميمون الذي استطاع أن يغرر بعقول البعض ويدّعي أنه قد جرى له انشقاق القمر ! وسرّ ذلك في خلطه لموادّ وحرقتها وصعودها على هيئة دخان عظيم.. مما خيّل للناس أن القمر قد انشق !

وكنّت أشرت في الطبعة الأولى من هذا الكتاب إلى عزمي لإصدار كتاب عن أدعياء النبوة في العصر الحديث.. ولكن لم أرَ عزيمة في الأمر.  
وقد بحث المؤلف هذه الأمور في ثلاثة عشر باباً.. فهو من أطول فصول الكتاب !

وأما عن أسرار الذين يدّعون المشيخة، فيقسمهم أولاً إلى درجات، ولا يقصد العلماء العاملين وأرباب العلم والفضل، بل قصده «أصحاب الدخن المختلفة والتباخير الهيولي» . واعلم أن هذه الدرجة لم يتعلق بها إلا كل من يأكل الدنيا بالدين، ويدخل الشبهة على قلوب المسلمين.. واعلم أن كل واحد من أهل هذه الطائفة ظاهره صديق وباطنه زنديق ، يستحلون المحارم ويجهلون المعالم، فمنهم المباحية الذين يبيحون مؤاخاة النساء واللعب مع المردان ويبيحون السماعات ويخلون بالنسوان...

ثم أخذ يعدد أصنافاً أخرى متعددة من أمثال هؤلاء المشعوذين.. وبعض ما يقومون به من أعمال لُبروا الناس أنها كرامات لهم.. من مثل التنوير المسجور الذي يدخل فيه المشعوذ ويخرج بعد ساعة دون أن يصيبه شيء.. بينما يكون قد عاجل أسفله أو جانباً منه بباب إلى غرفة تكون باردة.. كما يتعهد جسمه ببعض الدهون.. وذكر طرقاً أخرى..

كما كشف أسرار من يشعل أصابعه كأنها شموع.. ويخرج من بين أصابعه ماء - بعد أن يعطش أصحابه - ويكون قد أعدّ لذلك مصران غنم معالج بطريقة معينة، يمدّه إلى ذراعه فكتفه.. انخ وإحضار فواكه في غير ميعادها.. وأكل الحيات والنار، والصبر على الجوع أياماً ..

قال المؤلف : « واعلم -وفقك الله- أن أهل هذه الدرجة من المشايخ مجمعون على بطلان معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكرامات الصالحين، ويعتقدون أن كل ما جاءت به الأنبياء من المعجزات والصالحون من الكرامات مثل هذا النوع الذي قد سلّكوه، وهم كاذبون مارقون من الدين. وكيف يقاس الحق بالباطل ؟ ثم إن أهل هذه الدرجة مجمعون على أكل الحشيشة واستباحة الحريم والفسق... ولهم في ذلك فنون..» .

وعندما أورد بعض ما يفعلونه من عجائب قال :

« وكل ذلك حيلة على أموال الناس... والدليل أن أحدهم لا يمكن أن يبقى يوماً واحداً بلا أكل الحشيش، فإذا أكله اختلط عقله وسوّلت له نفسه كل قبيح، والحشيش من أعظم المسكرات..» .

وقال عن كذبة الرهبان إنهم أعظم الأثم كذباً ونفاقاً ودهاء ، وذلك أنهم يلعبون بعقول النصارى ويستبيحون النساء ويتزولون عليهم الباروك ولا يعلم أحد أحوالهم، وهم أضّر الخلق، وأحسن من غيرهم، لأنهم إذا خلوا بأنفسهم يعترفون بأنهم على الضلالة وقد غيّرُوا الأحوال والأفعال والأقوال، ولهم أعمال عظيمة لا تعدّ ولا تحصى، وهم يأكلون الأموال بالباطل ويرتبون الكذب وزخارف القول، وهم أكذب الخلق على كل حال ..

وقال عن كذبة أحبار اليهود :

اعلم أن هذه الطائفة أمكر الخليقة وأخبثهم وأشدهم كفراً ونفاقاً، وهم أشد الناس خبثاً في أفعالهم وأظهرهم ذلة ومسكنة، وهذا عين اللعنة والدهاء، فإنهم إذا خلوا بإنسان أهلكوه ودكّوا عليه المرقد من الطعام ثم إنهم يقتلونه !

وإذا سألت عن بني ساسان من هم أجابك المؤلف أنهم طائفة يدخل فيها جميع الطوائف ويتعلق بها أكثر الناس، وذلك لأنها صناعة واسعة تحمل أموراً شتى، وهم أصحاب الدهاء والمكر والحيل ولهم جسارة على كل ما يفعلونه، ولهم ألف باب من الأبواب.. منهم الفقراء والمدرعون وأصحاب القروء والدبب والذين يؤلفون بين القط والفار، والذين يدعون أنهم كانوا مأسورين، والذين يظهرون الاستسقاء (داء البطن) .

وحكى هنا قصصاً عجيبة.. منها قصة رجل يدّعي الفقر وهو من الأغنياء.. فقد أحضر يوم الجمعة - بعد انتهاء الخطبة - ذهباً كثيراً ووضع بين يدي الخطيب، وقال إنه رآه مرمياً في الشارع، ليعث عن صاحبه ويعطيه له.. ثم قال إنه مسكين - وعليه ثياب مقطّعة . فبيّن الخطيب أن مثل هذا المسكين «الأمين» يستحق كل معروف !

وانهالت عليه الصدقات..

وبعد لأي ! حضرت امرأة على هيئة عجوز تدّعي أنها ضيّعت ذهباً صفته كذا وكذا - على هيئة ذلك الذهب - فأعطيته !

وكانت خطة مرسومة !

وفي الفصل الثامن عن أسرار أهل الحراب وآلة الحرب، يذكر بعض المواد الكيميائية التي تمهري اللحم ولا يبرأ الجرح إذا دخلت فيه.. وقد وصف المؤلف هذا التفاعل الكيميائي بقوله «... ورق الدخلة والباذروج أجزاء متساوية يدقونها ويجعلونها في الماء ثم يجعل فيه شحم الحنظل ثم يغلى عليه حتى يذهب ربه ثم يحمى الحديد من أي نوع كان من آلة الحرب سقياً ودهناً، فإنه يفري جميع ما يمر عليه ويعظم ضربه ولا يبرأ جرحه أبداً...» .

أما عن العطارين فقال : إنهم أكبر دكاً وزغلاً من جميع الصنائع، ففيها ما هو معمول معلوم، وفيها ما هو معمول مجهول.. ثم تحدث عن أسرار صناعة الهليلج والزنجبيل والعود والماورد والمسك والعنبر والتوتياء ، ودم الأخوين الذي هو القاطر، واللازورد .

وقال عن أصحاب الميم وهم المطالبية الذين يدعون الوصول إلى المطالب إنهم أكثر مكرراً وتسليطاً على أموال الناس، ولهم فيها أفعال لا يقع عليها أحد ولا قياس ؛ ثم إن جميع الخلق ترتبط عليهم ويصفون إليهم وإلى كلامهم ويتصور لهم الطمع في المال الذي يلعب بعقول الرجال وتذعن له الملوك وكل غني وصعلوك وتضرب عليه الرقاب .

ومثال ماورد في هذا الفصل ما قاله المؤلف عن سر مهنة «مهلك الحيات» : «فإنهم يعملون حية قائمة إلى صدرها، ويجعلون لها عينين زئبقية وقصبة الظرف إلى جوفها، وفي جوفها المشاقة والقلفونية والكبريت، فإذا وطأ على الظرف خرجت النار من فم الحية وتبقى عينها تتوقدان، فلا يجسر أحد أن يثبت قدامها..» .

وفي كشف أسرار المعزمين قال :

إن هذه الطائفة لهم أمور عجيبة وأحوال غريبة لا تعد ولا تحصى ، وذلك أنهم إذا دخلوا بفرد من الرجال والنساء وأظهروا له أحوالاً لا تكيف ولا تدرك، فيذهلون عقل من يحضر، فإذا أرادوا عزمة أحد من الرجال والنساء خيلوا له أشياء فيدهشون عقله.. ثم بين بعضاً من أسرار هذه المهنة .

وعن أطباء الطريق قال إنهم أكثر مكرراً وحيلاً من غيرهم، ولهم أمور عجيبة، وهم أجناس كثيرة وضروب لا يقع عليها إحصاء... منهم من يتكلم على العقاقير وهم أكثر كذباً على الناس، ومنهم من يتكلم على دواء الدود، ومنهم من يتكلم على الأدهان، ومنهم من يتكلم على المعجون، ومنهم من يتكلم على السفوفات، ومنهم من يتكلم على أدوية الشعر، ومنهم من يتكلم على الدرايق، ومنهم من يتكلم



على نفخة الدواب، ومنهم من يتكلم على مرارة الطبع.. ثم ذكر أسراراً تخصّ ماذكر.. ومنها أسرار الكحّالين، وأسرار الذين يُخرجون الصبيان من العين والجفن، وقلع الناصور من العين؛ وقطع الشرناق من العين..

وقال عن الذين يقلعون الدود من الضرس إنهم يدّعون عمل مالا يكون، فيوهمون الناس أنهم يقلعون من أضرّاسهم دوداً ويكذبون، ويعملون للناس أدوية لا تساوي شيئاً!!..

والفصل السادس عشر كان عن كشف أسرار الذين يصبغون الخيل والدواب، وقال إنهم يشترون فرس الإنسان ويصبغونها ويبيعونها عليه !! وهذا أشد ما يكون من البهت والدهاء . قال :

وقد اجتمعتُ بجماعة منهم في أرض الصعيد وعيذاب في بلاد المغرب وتونس، ورأيت ذلك عياناً، فمنهم الذين يصبغون الفرس الأدهم فيعيدونه أبيض وهذا أبلغ ما يكون... ثم ذكر سرّهم وكيف أنهم يخلطون موادّ تخرج بها صبغات معينة... ومثل ذلك في صبغ بني آدم في الفصل الذي يليه .

ثم تحدث عن أسرار الذين يلعبون بالنار ويمنعون حريقها... وقال : إن هذه الطائفة ألعن الطوائف وأخبثهم وأكذبهم وأكثرهم تسلطاً على الناس وأشدّهم نفاقاً وأعظمهم كفراً وهم طوائف المجوس، وهم الذين يعبدون النار ويسجدون للشمس حين تطلع..

ثم روى قصته مع نجار مجوسي يسمى (عبد النار) في مدينة هندبار، وكيف أنه كان يعمل أصناماً صغاراً من خشب.. يبيع الصنم الواحد بخمسة دنانير ملكية، ثم يدخل المشتري الصنم في النار فلا يحترق ولا يضرّه شيء مع أنه خشب ! وبقي معه حتى عرف سرّه وسرّ صنعته تلك.. والذي فهمته أنه أحال ذلك الخشب إلى مادة أخرى من كثرة معالجته بأدوية مختلفة ومياه معدنية متنوعة وتعريضه للشمس مدة وغمره بإياه أكثر من شهر ودهنه... الخ .

ويقصد من أسرار «الذين يعملون الطعام» ما يعرف في عصرنا بالأغذية

الصناعية التي لا يكاد يفرّق بينها وبين الطعام الطبيعي من حيث الطعم والذوق..  
وحتى اللون !

وهو هنا يبيّن أسرار أولئك الذين يصنعون تلك الأطعمة ويقدمونها على أساس  
أنها طبيعية.. مثل العسل والسمن والزبد والخل والزيت..  
والعجيب أنه يتحدث عن «عمل اللبن من غير ضرع» أي الصناعي، وهو  
الذي عاش في القرن الثامن الهجري.. لكنه ليس كما نصنعه نحن الآن على هيئة  
«بودرة» . بل إن ما وصفه هنا يبعث على الاستغراب والدهشة . قال عن هذه  
الصنعة :

«وهذا باب معدوم لا يعلمه إلا كل فاضل ، فإذا أرادوا أن يعملوا لبناً من غير  
ضرع يأخذون من الجوز الهندي ويقشرون عنه القشرة السوداء ويطرحونه في إناء  
قوارير، ثم يصبون عليه ماء ويمرسونه باليد مرساً جيداً ، حتى إذا ذاقوه وجدوه  
مثل اللبن . فبعد ذلك يعصرونه ثم يجمعون ما خرج منه مع الماء الذي كان فيه  
ويصبونه، فإنه يعود خائراً كثير الدسم، فيجعلونه في إناء ثم يكمرونه قليلاً كما  
يكمر اللبن حتى يصير حامضاً، فإنه يكون لبناً جيداً...» .

وعن الذين يمشون بـ «العلقات» قال :

إن هذه الطائفة ألعن الناس وأخبثهم، وقتل هذه الطائفة مباح، وذلك أن جميع  
الطوائف الذين ذكرناهم في كتابنا هذا ينصبون على الناس ويأخذون ما يقدر  
عليه من أموالهم ولا يستحلون دماءهم ؛ وهذه الطائفة تستحل المال والروح، فمن  
أجل ذلك قلنا إن قتلهم مباح . ولهم أمور لا يعلم أحد آخرها، فإنهم يصنعون  
العلقات في الخبز ثم يرمونه على الطريق ويرقبون من يأكله، ويعملونها في التين وفي  
جميع الطعام . ومنهم من يمشي في الطريق ويطرح عينه على من معه شيء ، فلا يزال  
معه حتى يلوح له عليه مضرب ثم يعلقه ويأخذ ما معه . ومنهم من يتزّيا بزّي  
الأجناد ويفعل ذلك، ومنهم من يتزّيا بزّي التجار ويوهم أن له في البلد الفلاني  
تجارة وهو ذاهب إليها ، ومنهم من يتزّيا بزّي المكاريّة ولا يكرى إلا لمن يعلم أن  
معه مالا ، ومنهم من يجهز العلفات مع النساء الملاح ثم يتزّين ويلبسن ويمشين في

الشوارع ويتحدثن على الناس ثم يطعن من يعلمن أنه غريب...  
ثم أخذ يصف هذه «العلفة» وما تحويه من موادّ وتركيبات، وأن من يأكلها  
ينام لوقته.. ثم قال : «... ومن ذلك أن لهم علفات منومة، وهي تهت الإنسان،  
فيبقى شاخصاً ولا يردّ جواباً ولا يعلم ما يفعل به » !

وفي الفصل الثاني والعشرين كشف أسرار الكتاب أصحاب الشروط وقال :  
« هذه الطائفة عندهم من الدهاء والحيل والمكر مالا يعلمه غيرهم، وهم أخبر  
العالم بالأمور الشرعية، وهم أشّر الخلق في الباطن، وفي الظاهر يقيمون الحدود  
الشرعية والنواميس الساسانية، ولهم أسرار لا يعلمها غيرهم » ..

وقال في كشف أسرار الجوهرين وفعلهم :  
« إن هذه الطائفة أكثر الطوائف زغلاً ومكرًا ومحالًا وتسلاً على أموال  
الناس، وأي شيء أرادوا من الجواهر والفصوص صنعوها وباعوها، ويصنعون ألوان  
الفصوص، ولهم أمور لا يطلع عليها إلا كل عالم بعلمهم، وقد ينصبون على الناس  
ويّدعون أنهم يفعلون ذلك، ومنهم من يعلم ذلك ويعمل ويبيع، ومنهم من لا يعلمه  
ويّدعيه ويأكل أموال الناس، وكيفما دارت القضية فإنهم يأكلون أموال الناس  
بالباطل أخزاهم الله... » .

وفي الفصل قبل الأخير أورد قصصاً وحوادث منوعة عن أسرار بعض المهن..  
منها السرقة فقال عن (حيل السراقين) :

إنهم يأخذون طير حمام يكون مقصوصاً، ثم يدورون في الأزقة، فأب باب  
وجدوه مفتوحاً سيّوا فيه ذلك الحمام ودخلوا خلفه، فإن وجدوا أحداً يقولون  
أمسكوا الطير الحمام، وإن لم يجدوا أحداً أخذوا ما قدروا عليه .

وقد يأخذون قطعاً وقطعة لحم تكون كبيرة، ثم يدورون في الشوارع، فأب باب  
وجدوه مفتوحاً رموا القطعة ورموا القطع خلفها فيأخذها فيزعقون عليه فيتمّ  
داخلاً في الباب وهو خلفه، فإن وجدوا أحداً يقولون أمسكوا لنا القط وخلّصوا  
لنا منه اللحم، وإن لم يجدوا أحداً خطفوا ما قدروا عليه ويذهبون !



## المعجم في بقية الأشياء لأبي هلال العسكري<sup>(\*)</sup>

كنت أستغرب من وضع معاجم في أسماء بعض الحيوانات أو النباتات..  
ولكنني عندما رأيت معجماً صغيراً - كهذا - يعدد فيه واحد من أئمة اللغة  
الأسماء الواردة فيما يبقى من الأشياء.. زال استغرابي من هناك واستقرّ هنا !  
بقية الأشياء !

إنه أمر غريب حقاً !  
ولكن قد توجد معاجم أخرى في أشياء أخرى لم نطلع عليها.. تكون أغرب  
وأعجب..!

لقد اتبع علماؤنا أساليب كثيرة لتشويق اللغة العربية وتجيئها إلى نفوس الناشئة

---

(\*) المعجم في بقية الأشياء . لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ؛ أكمله وعلّق عليه وضبطه إبراهيم  
الابباري وعبدالحفيظ شلبي . ط ١ . - القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٥٣ ، ١٩٣٤ م ، ١٧٤ ص .  
والمؤلف : لغوي، أديب، شاعر، مفسّر . نسبته إلى «عسكر مكرم» من كور الأهواز . ومن مستطرف  
الأسجاع ما كتبه عنه البخارزي في «دمية العصر» قال : «بلغني أن هذا الفاضل كان يحضر السوق، ويجعل  
إليها السوق، ويحلب دَر الرزق ويمتري ، بأن يبيع الأمتعة ويشترى ، فانظر كيف يحدو الكلام ويسوق ،  
وتأمل هل غَضّ من فضله السوق، وكان له في سوقة الفضلاء أسوة، أو كأنه استعار منهم لأشعاره كسوة»  
الخ ، وقد توفي بعد ٣٩٥ هـ . من مؤلفاته : كتاب الصناعتين : النظم والنثر، شرح الحماسة، الأوائل، المحاسن  
في تفسير القرآن، ديوان المعاني، الدرهم والدينار.. (انظر الأعلام للزركلي ومعجم المؤلفين لكحالة) .  
وبين المؤلف أنه اتجه إلى تأليف مثل هذه الكتب اللطيفة الحسنة المختارة، ترغيباً للزاهد وتنشيطاً للفاتر..  
«وهو وإن صغر حجمه فقد كبر نفعه، لغريب ما تضمنته من أسماء بقايا الأشياء، وبديع طريفته في الدلالة على  
سعة لغة العرب وفضلها على جميع اللغات..» .

وقد راجع المحققان الكتاب وأكملوا النقص وزادت بضاعتها على بضاعته.. وعلا ذلك بقولهما : «ولا  
تريب على أبي هلال في هذا، فقد يكون ما هو اليوم بين أيدينا ميسور من تواليف كثيرة كان عزيز المال بعيداً  
عن تناول يده .»

وطلاب العلم - وهذا ما نفتقده الآن - وسلکوا طرقاً عديدة لتفصيل علومها وتقريب معانيها وشرح متونها وإيراد أمثلة كثيرة تبين مدى سعتها وغناها..

وفي هذا المعجم الصغير يورد المؤلف - ومعه المحققان - أكثر من مائتي كلمة تدل على بقية الأشياء، أوردت منها خمساً وستين كلمة باختصار، ليجد فيها القارئ «ذكریات» من لغتنا العربية الغنية.. التي أفقرها أهلها في هذا العصر !

الآس : بقية العسل في موضع النحل .

الآصية : ما يبقى من الطعام على المائدة .

الأزى : ما يبقى في القدر ملتزقاً بأسفلها. وبه سمى العسل أزيماً لالتزاقه .

الأهزغ : آخر السهام الذي يبقى في الكنانة .

الزيم : ما يبقى من المرق في أسفل القدر من غير لحم .

التريكة : بقايا تبقى من الكلاً في مواضع لا يصل إليها الرواعي . والجمع

الترائك . والترائك من النساء : اللاتي لا يتزوجن دماً أو فقراً . والتريكة :

البيضة بعد ما يخرج فرخها .

التفشيل : ما يبقى في الضرع من اللبن .

الشميلة : بقية العلف والطعام في الجوف .

الجذمور : بقية كل شيء مقطوع .

الجريدة : البقية من المال .

المزعة : البقية من اللبن .

الحُتامة : ما بقي على المائدة من الطعام، أو ما سقط منه إذا أكل، أو ما فضل

من الطعام على الطبق .

الحُثْفرة : خثورة وقذى يبقى في أسفل الجرّة .

الجِثْلِم : ما بقي في أسفل القارورة من الدهن .

حَمْحام : كلمة تقال عند نفي البقية . إذا قيل لك : هل بقي عندك شيء من

كذا ؟ قلت : حمحام، أي ما بقي منه شيء .

الحُشارة : ما بقي على المائدة مما لا خير فيه .  
الحُلَاصة : ما بقي في أسفل البُرمة من الخِلاص<sup>(١)</sup> وغيره من ثقل أو لبن أو غيره .

الخِلْفَة : ما يبقى بين الأسنان من الطعام، وما يبقى في الحوض من الماء .  
الخُلَّة : ما يبقى في الشتاء من الشجر .  
داعي اللبْن : ما يُقيهِ الحالب في الضَّرْع لينزل إليه اللبن .  
الدُّنَانَة : بقية الشيء الهالك الضعيف .  
الروضة : بقية الماء في الغدير .  
السَّقَر : بقية بياض النهار بعد مغيب الشمس .  
السُّودَة : البقية من الشباب . يقال للمرأة : إن فيها لسودة، أي بقية من شباب .

الشُّفا : بقية البصر، وبقية الشمس عند الغروب .  
الشُّفاة : بقية الماء في الإناء بعد ما شُرب . ويقال لبقية النوم في العين شُفاة .  
الشَّوَايا : بقية قوم هلكوا، الواحدة شوية .  
الصُّرِير : بقية الجسم، وقيل هو بقية النفس .  
طَخَارِير : يقال لباقي الغيم في السماء، واحدها طُخُور .  
الطُّفِيل : الماء الكدر يبقى في الحوض .  
الطَّنء : بقية الروح .  
القرَم : بقية القدر، وقيل وسَخُها . وبه سمي الأُقلَف ( الذي لم يُخْتَن ) أعرم، فكأن وسخ القُلْفَة باق هنالك .  
العُصَم : بقية آثار الورس والزعفران . تقول المرأة للمرأة : أعطيني عُصَمَ

---

(١) الخِلاص : بكسر الخاء :: ما أخلصته النار من الذهب والفضة والزبد .

حنائك، أي ما طرحت منه. والغراب الأعصم: الذي في أحد جناحيه ريشة بيضاء، وذلك قليل في الغربان، ولهذا قيل: عائشة في النساء كالغراب الأعصم في الغربان.

العُقبة: البقية تبقىها في القدر المستعارة إذا أردت ردّها على صاحبها.  
العقيقة: ما يبقى من شعاع البرق في السحاب، ومثله العُقق، وبه تُشبه السيوف فتسمّى عقائق. قال عنترة:

وسيفي كالعقيقة فهو كيمعي سلاحي لا أَقْلُ ولا فُطاراً<sup>(١)</sup>  
العلامة: يقال: لفلان في هذه الدار علامة، أي بقية نصيب.  
العُنشوش: بقية المال. ويقال: ماله عنشوش، أي شيء.  
العنك: الثلث الباقي من الليل.

الغابر: الباقي، على الأشهر. وقد يقال للماضي غابر أيضاً. والغابر من الليل: ما بقي منه، وجمعه غواير. وفي حديث ابن عمر: سئل عن جُنُب اغترف بكوز من حُب<sup>(٢)</sup> فأصابته يده الماء، فقال: غابره نجس، أي باقيه.  
الغادر: يقال: به غادر من مرض، أي بقية.

الغُطاط: البقية من سواد الليل، وقيل: هو اختلاط ظلام آخر الليل بضياء أول النهار، أو هو أول الصباح. قال الشاعر:  
قام إلى أذماء في الغُطاء يمشي بمثل قائم الفُسطاط  
الفَلَق: ما يبقى من اللبن في أسفل القدح. ومنه يقال: يا ابن شارب الفلق!  
الْقُداحة: بقية تبقى في القدر من المرق.  
القَدِيج: ما يبقى في أسفل القدر فيُعرف بجهد.

---

(١) الكمع: الضجيع. والأقل: المنفل. والفطار: الذي فيه صدوع وشقوق.

(٢) الحُب: الجرّة الضخمة.



الْقَرَارَة : ما يقي من المرق اليابس في القدر .  
الْقَرَامَة : ما يقي من الخبز ملتزقاً بالنور .  
الْقَزَع : بقايا الشعر المُنتشف، الواحدة قَزْعَة . والقَزَع أيضاً : أن تخلق رأس الصبي وترك في مواضع منه الشعر متفرقاً غير مخلوق تشبيهاً بقزع السحاب، وهو المتفرق منه .

القُشَام : ما يقي من كُسار الخبز وغيره على المائدة .  
القُصَارَة : ما بقي في السنبل من الحب بعدما يُدرَس .  
القِصْمَة من السواك : الشظية منه تبقى في فم المستاك فينفثها .  
الكُدَامَة : بقية كل شيء أُكل .  
الكَسَم : البقية تبقى في يدك من الشيء اليابس .  
اللُعاق : ما بقي في فيك من طعام لَعَقْتَه .  
اللُفاظة : بقية الشيء ، يقال : ما بقي إلا نُضاضة ولعاعة ولفاظة، أي بقية قليلة .

اللُماظة : بقية الطعام تبقى في الفم، والتلَمَظ : تتبّع ذلك باللسان .  
المُجْلَف : الذي بقيت منه بقية .  
المَصِيطَة والمَلِيطَة : ما يقي في أسفل الحوض من طينه وكُذْرْتِه .  
المُواعَة : بقية كل ما أُذِيب، وقد تستعمل في بقية كل شيء .  
الناطِل : الفضلة تبقى في المكيال .  
الثَّقَاثَة : ما يقي من شظايا المسواك في الفم فتنفثها، وهو أن تخرجها على طرف لسانك ثم تلقيها. يقال : لو سألتني قصمة سواك وقُصامة سواك وضُورَة سواك ونُفَاثَة سواك ما أعطيتك .  
الهُشَامَة : ما يقي من الحطب على الأرض بعد ما حُمِل . فإذا كان من القصب فهو الهَبْرِيَة والإبْرِيَة .

الهَنَانَة : بقية المخ .

الهَوَادَة : البقية من القوم يُرجى صلاحهم بها وسلامة بعضهم من بعض.  
وأنشد الخليل :

ومن كان يرجو في تميم هَوَادَة فليس لَجَزَم<sup>(١)</sup> في تميم أَوَاصِرُ  
الْوَلْت : بقية العجين في الدَّسِيعَة، وبقية الماء في المُشَقَّر<sup>(٢)</sup> ، والبقية من  
الضرب والوجع، والفضلة من النبيذ تبقى في الإِنَاء، وبقية العهد .

---

(١) جَزَم : بطن في طيء .

(٢) المُشَقَّر : القدح العظيم والقربة من الأدم .

## خطبة واصل بن عطاء التي تحب فيها التبرؤ\*

كان واصل بن عطاء، مع مارزقه الله من بيان وحسن تصريف للقول، صاحب عاهة منطقية عُرف بها وذاعت بين الناس، وهي لثغة شنيعة كانت تقع له في حرف الراء فتخرجه في ذلك أيما إخراج، فيأتي لها بمجانبتها إلى سواها من الحروف، ويحمل على نفسه في هذا الأمر ويجهدها فيوفق توفيقاً بالغاً .

قال أحد معاصريه :

ويجعل البرَّ قمحاً في تصرفه وجانب الراء حتى احتال للشعر ولم يطق مطراً والقول يعجله فعاذ بالغيث إشفافاً من المطر

قال الجاحظ : وسألت عثمان البري : كيف كان واصل يصنع في العدد، وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين، وكيف كان يصنع بالحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب ؟ فقال : مالي فيه إلا ما قاله صفوان :

ملقن ملهم فيما يحاوله جُمّ خواطره جواب آفاق

---

(\*) كتاب خطبة واصل بن عطاء المعتزلي موجود ضمن المجموعة الثانية من (نوادير المخطوطات) بتحقيق عبدالسلام هارون . ط ٢ . القاهرة : شركة ومكتبة مصطفى الباني الحلبي ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م ، ص ص ١١٧ - ١٣٦ . وما كتب في المقدمة هو مقتطفات مما كتبه المحقق . قال عنه في الأعلام ما ملخصه : واصل ابن عطاء الغزالي، أبو حذيفة.. رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين . سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري، ومنهم طائفة تنسب إليه تسمى «الواصلية» . وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في الآفاق.. ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة . ولم يكن غزّالاً، وإنما لقب به لترده على سوق الغزاليين بالبصرة . له تصانيف، منها : «أصناف المرجئة» و«المنزلة بين المنزلتين» و«معاني القرآن» و«طبقات أهل العلم والجهل»، و«السبيل إلى معرفة الحق» و«التوبة» . ولد عام ٨٠ هـ وتوفي عام ١٣١ هـ .

وفي حفل جامع حُشد له أقدر الخطباء وأبرعهم براعة، وكان ذلك بالعراق، إذ اجتمع عِلْيَةُ القوم والناسُ ليشهدوا حفلًا عند عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز والي العراق، تبارى فيه هؤلاء الخطباء، وهم : خالد بن صفوان، وشيب بن شيبة، والفضل بن عيسى، وواصل بن عطاء . وتناوبوا القول على المنبر على هذا النظام . فانترع خالد وشيب والفضل قبله إعجاب القوم انتزاعاً .. فهم كانوا سادة الخطباء في ذلك الزمان ، وهم كانوا قد أعدوا خطبهم من قبل وحبروها ونمّقوها . وما إن فرغ الثلاثة حتى نهض واصل يهدر، وبداهته تغلي، بخطبة ارتجلها ارتجالاً ، واقتضبها اقتضاباً ، وأطال فيها إطالة . وحرص كل الحرص على أن ينزع الرءاء منها . ففاق إعجابُ الناس والوالي بواصل بن عطاء إعجابهم بالثلاثة قبله . وأظهر الوالي الصَّلَات ، فأجزل صلوات الثلاثة قبله ، ثم ضاعف لواصل الصلة تقديرًا لعبقريته الخطابية النادرة.. وهذه هي خطبته :

الحمد لله القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية، الذي علا في دنوّه، ودنا في علوّه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خلّق، ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداءً، وعدّله اصطناعاً، فأحسن كل شيء خلّقه وتمم مشيئته، وأوضح حكمته، فدلّ على ألوهيّته، فسبحانه لا معقّب لحكمه، ولا دافع لقضائه، تواضع كلّ شيء لعظمته، وذُلّ كل شيء لسلطانه، ووسع كلّ شيء فضله، لا يعزّب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا مثيل له، إلهاً تقدّست أسمائه، وعظمت آلاؤه، علا عن صفات كل مخلوق، وتنزّه عن شبه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يُعصَى فيحلم، ويُدعى فيسمع، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . ويعلم ما يفعلون . وأشهد شهادة حق، وقول صدق، بإخلاص ونية، وصدق طويّة، أن محمد بن عبدالله عبده ونبيّه، وخالصته وصفّيّه، ابتعثه إلى خلقه بالبيّنات والهدى ودين

الحق، فبلغ مآلكتَه<sup>(١)</sup>، ونصح لأمته، وجاهد في سبيله، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يصده عنه زعم زاعم، ماضياً على سنته، موفياً على قصده، حتى أتاه اليقين . فصلّى الله على محمد وعلى آل محمد أفضل وأزكى. وأتم وأتمى، وأجل وأعلى صلاةً صلّاها على صفوة أنبيائه، وخالصة ملائكته، وأضعاف ذلك، إنه حميد مجيد .

أوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته، فأحضّكم على ما يدينكم منه، ويزلّكم لديه، فإن تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبة في معاد . ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وتُحذّعها، وفواتن لذاتها، وشهوات آمالها، فإنها متاع قليل، ومدة إلى حين، وكل شيء منها يزول . فكم عانين من أعاجيبها، وكم نصبت لكم من حباثلها، وأهلكت ممن جَنّج إليها واعتمد عليها، أذاقتهم حلواً، ومزجت لهم سمّاً . أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكاثفوا الحجاب، وأعدّوا الجياد، وملكوا البلاد، واستخدموا التلاد، قبضتهم بمخلبها، وطحتهم بكلكلها، وعصّتهم بأنيابها، وعاضّتهم من السعة ضيقاً، ومن العزّ ذلاً، ومن الحياة فناء، فسكنوا اللحد، وأكلهم الدود، وأصبحوا لا تُعائِن إلا مساكنهم، ولا تجد إلا معالمهم، ولا تحسّ منهم من أحد ولا تسمع لهم نبساً . فتزودوا عافاكم الله . فإن أفضل الزاد التقوى، واتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون . جعلنا الله وإياكم من ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظّه وسعادته، ومن يستمع القول فيتبع أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب، إن أحسن قصص المؤمنين، وأبلغ مواعظ المتقين كتاب الله، الزكية آياته، الواضحة بيناته، فإذا تلى عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تهتدون .

أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي، إن الله هو السميع العليم . بسم الله

---

(١) المألّكة : الرسالة .

الفتاح المثنان . ﴿ قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً  
أحد﴾ .

نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم، وبالآيات والوحي المبين، وأعاذنا وإياكم من  
العذاب الأليم، وأدخلنا وإياكم جنات النعيم . أقول مابه أعظكم، وأستعْبُ الله لي  
ولكم . ا هـ .

فانظر إليه حين أراد أن يقول : أعوذ بالله القوي من الشيطان الرجيم، بسم الله  
الرحمن الرحيم، قال : أعوذ بالله القوي، من الشيطان الغوي، بسم الله الفتحاح  
المثنان .

وإذا أراد أن يتلو سورة كاملة من الكتاب قرأ سورة الإخلاص لخلوها جميعها  
من الرائ . وحين يريد أن يقتبس من القرآن الكريم : ﴿وسع كرسيه السموات  
والأرض ولا يؤوده حفظهما﴾ يقول : ولا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا  
يؤوده حفظ ما خلق .

وإذا أراد أن يقول ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة﴾ قال : مثقال حبة... إلى كثير  
من أشباه هذا ! <sup>(١)</sup> .

---

(١) من تعليق المحقق .

## بين توفي عنها زوجها فاظهرت الغموم وباحت بالمكثوم لابن المرزبان (\*)

« هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي القارئ ، كتاب صغير في حجمه ، كبير في قيمته ، نادر في بابه ، طريف في موضوعه . فهو قد طرق باب وفاء الزوجة لزوجها هذا الذي نكها الدهر بفراقه وموته ، فسجلت هذا الغياب المفاجيء وهذا الحادث الجلل بأبيات تعبّر فيها عن مشاعر الحزن والحب والوفاء ، هذه الظاهرة من جانب المرأة لفتت انتباه ابن المرزبان - أحد علمائنا الأجلاء في القرن الثالث - ربما لكونها ظاهرة نادرة في مجتمعه ، فدوّن لنا مآلقيه من روايات وأخبار في هذا الكتاب » .

هذا ما قاله المحقق بين يدي كتيب صغير ، لم تتجاوز صفحات منته التسع صفحات ! استأثر باهتمامي أيضاً ، فأحببت أن أضع بين يدي القارئ الكريم بعض ما ورد عن هذا الوفاء النادر ..

---

(\*) كتاب من توفي عنها زوجها فأظهرت الغموم وباحت بالمكثوم . تأليف أبي عبدالله أحمد بن خلف بن المرزبان ، ت ٨٣١٠ ، تحقيق عبدالعزيز بن ناصر المانع . نشر في مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود بالرياض ، المجلد الثامن ، ١٤٠١هـ ، ص ١٣٧ - ١٦٣ .

والمؤلف - كما قال المحقق - : هو أبو عبدالله أحمد بن خلف بن محمد بن المرزبان بن بسام الهول . لحقته هذه النسبة لأنه كان يسكن موضعاً ببغداد يقال له باب الهول ، ولعله جهة الباب الذي يخرج منه القاصد إلى الهول ، وهي قرية على فرسخين من بغداد . كان صاحب أخبار وملح وأشعار ، وله تصانيف وروايات عن عبدالله بن أبي سعيد الوراق ، وأحمد بن أبي طاهر ، وأبي بكر بن أبي الدنيا ، وأبي سعيد السكري .. وغيرهم . وهو الأخ الأصغر لمحمد بن خلف بن المرزبان ذي الشهرة الواسعة . واعتمد في تحقيقه على نسخة واحدة فريدة محفوظة في مكتبة تشستر بيتي بأيرلندا .. وما يزيد في قيمة المخطوط هذا الحشد من العلماء في سلسلة روايته عن مؤلفه .. ولا غبار على التحقيق ، فقد بلغت هوامش الكتاب ستة وخمسين هامشاً ، وأربعة وثلاثين بين مصدر ومرجع ، ما عدا هوامش المقدمة .

حدّث أبو الحسن الكاتب عن محمد بن سلام الجمحي قال : حدثني رجل من قيس أن امرأة منهم مات عنها زوجها فقالت :

أبكى شباباً وحسناً وصورة وجمالاً  
وحُسنَ دين وعقل لقد رأيتُ كمالاً  
قد كان إلفي وخذني أعدُّ فيه خصالاً  
قد كان - والله - سُخناً وكان عذباً زُلالاً  
قد كان بعلي كريماً لا يُحسن الإذلالاً  
ثم بكّت عليه حتى عميت !

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال :  
خطبت نائلة بنت الفرافصة قوم من قريش بعد عثمان بن عفان، رضي الله عنه،  
فدعت بمرآة فنظرت إلى فيها - وكانت من أحسن الناس ثغراً - فأخذت فهِرأ  
فدقت به أسنانها، فسال الدم على صدرها، فبكى جواربها وقلن لها : ماذا صنعتِ  
بنفسك ؟ فقالت : إني رأيت الحزن يلبى كما يلبى الثوب، وإني خفتُ أن يلبى  
حزني على عثمان فيُطَّلَع مني على ما اطلع عليه عثمان، وذلك ما لا يكون أبداً .  
وهي التي تقول :

أنى الله إلا أن تكوني غريبة بيثرب لا تلقين أمّاً ولا أبا  
وذكر الأصمعي أن امرأتين كانتا متواخيتين فهلك زوجها، فحلفت إحداها  
أن لا تزوّج بعده، فقالت لها الأخرى : ما حملك على اليمين ؟ قالت : لا أجد في  
الرجال مثل زوجي ؛ إنه كان يعطيني سؤلي ، ويصدق قبلي، ويكرم نزلي .  
قالت الأخرى : كان زوجي خيراً من زوجك ، كان عزيز الجار، عظيم الثار،  
صلت الجبين، أشمّ العرنين، سمح اليمين، يعطي المئين بعد المئين ..  
قالت الأخرى : زوجي مليح الإلف، وبهزم الصف، إن قدير كَفّ، وإن نال  
مغنماً عَفّ، وإن سئل بذل، عاش حميداً، ومات فقيراً .  
قالت الأخرى : كان زوجي رحب الفناء، عظيم الفناء، إن استقبلته هَيْتته، وإن  
ذكر لديك خفتته .



قالت الأخرى : كان زوجي يباري الشُّمال، ويعانق الأبطال، ويملاً رِقَّة،  
ويعطي الرمح حَقَّة، يُروى نداماه، ويحمي حماه، وإن لقي قِرناً هَدَّه، وإن خاف  
معطلاً رَدَّه، فلذلك لا أتزوَّج بعده .

وحدث محمد بن الحسين عن أبيه قال : توفي زوج سُعدى الكلبية، وكان ابن  
عمها، وكان يقال له وهب، فقالت فيه :

ألا يا ليتني سُلِّيتُ وهبا وهل يُغني من الجذَّان ليثُ  
وجَدَد بيتِه وهب وأمسي لوهب من جديد الأرض بيتُ  
فليت الصبح ليل بعد وهب تطاوله وليت الحَيِّ ميثُ  
وحدَّث أعرابي من بني عمرو بن كلاب قال : كانت أمُّ شبيب بنت قيس بن  
القاسم السُّلمية زوجة حارثة بن بدر الغُداني، فمات عنها، فتزوَّجها بشر بن  
شفاف بعده، فقالت تذكُر الأول :

بُدِّلْتُ بشراً بلاء أو معاقبة من فارس كان قَدماً غير خَوَّار  
فليتني قبل بشر كان صادفني داغ إلى الله أو داغ إلى النار  
وعن مصعب بن عبدالله الزبيري قال : تزوَّج مالك بن عمرو الغَسَّاني بابنة عمِّ  
النعمان بن بشير، فشغف كل واحد منهما بصاحبه . وكان مالك شجاعاً،  
فتشرَّطت عليه إذا لقي أن لا يُقاتل ؛ شفقاً عليه وضناً به . وإنه غزا حياً من  
لحم ، فباشر القتال، فأصابته جراح فقال ، وهو مثقل من الجراح :

ألا ليت شعري عن غزال تركته إذا ما أتاه مصرعي كيف يصنع  
فلو أنني كنتُ المؤخَّر بعده لما برحت نفسي عليه تقطُّع  
وإنه مكث يوماً وليلة، ثم مات من جراحته . فلما وصل خبره إلى زوجته  
بكت سنة ، ثم اعتقل لسانها فامتنعت من الكلام، وكثُر خُطَّابها ، فقال عمومتها  
وولاة أمرها : تزوَّجها لعل لسانها ينطلق ويذهب حزنها ، فإنما هي من النساء ،  
فزوَّجوها بعض أبناء الملوك، فساق إليها ألف بعير، فلما كانت الليلة التي أهديت  
فيها قامت على باب القبة ثم قالت :

يقول رجالٌ : زوّجوها لعلها	تقرّ وترضى بعده بحليل
فأخفيتُ في النفس التي ليس بعدها	رجاءٌ لهم ، والصدق أفضل قيل
أُبعد ابن عمي فارس القوم مالك	أزفُ إلى ( . . . . . ) <sup>(١)</sup>
وحَدّثني أصحابه أن مالكاً	أقام ، ونادى صاحبه برحيل
وحَدّثني أصحابه أن مالكاً	ضروبٌ بنصل السيف غيرُ نكول
وحَدّثني أصحابه أن مالكاً	جوادٌ بما في الرحل غيرُ بخيل
وحَدّثني أصحابه أن مالكاً	خفيف على الأحداث غير ثقيل
وحَدّثني أصحابه أن مالكاً	صَروم كاضي الشفرتين صقيل

فلما فرغت من الشعر شهقت ، فمات !

فلما فرغت من الشعر شهقت ، فماتت !

(١) بياض في الأصل .

## الرد لابن القيم (\*)

هذا الكتاب الفريد فيه إجابة على واحد وعشرين سؤالاً مما يتعلق بأرواح الأحياء والأموات بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء الأخيار «ولا أدري أسئل مصنفه عنها فأجاب، أم سئل عن البعض ولكن هو أطلال الخطاب...» .

(\*) الروح : في الكلام على أرواح الأموات والأحياء .. شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ . الرياض : مكتبة الرياض الحديثة، د. ت، ٢٨٠ ص . وقد قرأت أن الكتاب قد حققه وقدم له وعلّق حواشيه محمد إسكندر بلدا ، وصدر عن دار الكتب العلمية ببيروت ، وذكر أن الطبعة الأولى من الكتاب صدرت في مصر عام ١٣٨٦ هـ . ويقع الكتاب المحقق في ٣٧٤ صفحة . ولا نظير لهذا الكتاب الذي جمع فيه ابن القيم ما يتعلق بالروح من مكتبته الضخمة التي حوت جميع أنواع العلوم . وفي إحدى المسائل التي أجاب عليها في هذا الكتاب قال (ص ٩٣) : «فهذا ما تلخص لي من جمع أقوال الناس في مصير أرواحهم بعد الموت ، ولا تظهر به مجموعاً في كتاب واحد غير هذا ألبتة » . ويحرص ابن القيم على إيراد الأدلة والأخبار الخاصة بالموضوع وينسبها إلى أصحابها.. ويناقشهم فيها . ومن ناقشهم في هذا الكتاب : ابن حزم، قال (ص ١٠٨) : «وهو دائماً يشنع على من قال قولاً لا دليل عليه ، فأني دليل له على هذا القول من كتاب وسنة ؟ » . وإذا كان الكتاب كله إيراد أدلة وبيان رأي ، فإن المناقشات والتعقيبات تلف الكتاب كله . ولا يترك ابن القيم رأياً ولو كان ضعيفاً .. بل حتى نافهاً إلا ويورده.. ليصبح الكتاب مرجعاً في بابه، حيث لا وجود لحل هذه الكتب مفردة.. بمثل هذه الأخبار .

وينقل أخباراً من « كتاب النفس والروح » للحافظ أبي عبدالله بن منده كما ورد في أكثر من مكان . كما دلّ على وجود كتب أخرى استعان بها . قال في ص (٧٠) : « ... وأما رؤية المنام فلو ذكرناها لجاءت عدة أسفار ، ومن أراد الوقوف عليها فعليه بكتاب المنامات لابن أبي الدنيا، وكتاب البستان للقيرواني وغيرهما.. » .

وورد في (ص ١٤٥) عن الروح وأنها مخلوقة وما يتعلق بذلك من مسائل، أنه قد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ، وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة . وصنف الحافظ أبو عبدالله بن منده في ذلك كتاباً كبيراً، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي وغيره، والشيخ أبو سعيد الخراز وأبو يعقوب النهرجوري والقاضي أبو يعلى .

## المسألة الأولى :

هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم أم لا ؟

وقد بين المؤلف أن السلف مجتمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي ويستبشر به . قال ابن عبد البر : ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام » . وثبت عنه ﷺ أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه . قال المصنف (ص ١٠) : وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يُقرأ عند قبورهم وقت الدفن... وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجع عن ذلك .

وفي الصفحة نفسها أن الإمام أحمد - رحمه الله - قال لضرير يقرأ عند قبر : إن القراءة عند القبر بدعة .. ثم ذكره بعضهم بما قال مبشر الحلبي فقال له أحمد : فارجع وقل للرجل يقرأ .

ثم أورد ما حدثت به ابنة الصحابي ثابت بن قيس بن شماس - رضي الله عنه - عندما استشهد في الجامة وعليه درع نفيسة ، وكيف أن أحد المسلمين رآه في المنام فقال له ثابت : « أوصيك بوصية فأياك أن تقول هذا حلم فتضيّعه » .. ثم ذكر له أن فلاناً سرق درعه، وعين مكانه، وطلب أن يخبر أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - أن عليه ديناً - أي على ثابت - وفلان من رقيقه عتيق... فبعث خالد بن الوليد إلى الدرع فأتي بها، وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته. قال : ولا نعلم أن أحداً أجزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس .

## المسألة الثانية :

هل تتلاقى أرواح الموتى وتتزاور وتتذاكر أم لا ؟

وجوابها أن الأرواح قسمان :

أرواح معذبة وأرواح منعمة .

فالمعدّبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي .  
والأرواح المنّعة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتناكر ما كان فيها في  
الدنيا وما يكون من أهل الدنيا . فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل  
عملها . وروح نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى .  
وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون وأنهم  
يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وأنهم يستبشرون بنعمة من الله  
وفضل . وهذا يدلّ على تلاقيهم .

### المسألة الثالثة :

هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا ؟  
قال المؤلف : شواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها أحد إلا الله  
تعالى . والحس والواقع من أعدل الشهود بها . فتلقتني أرواح الأحياء والأموات كما  
تلقتني أرواح الأحياء . وقد قال تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم  
تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن  
في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

ثم روى قول ابن عباس الذي أخرجه ابن منده : بلغني أن أرواح الأحياء  
والأموات تلقتني في المنام فيتساءلون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح  
الأحياء إلى أجسادها..

قال : وهذا أحد القولين في الآية.. والذي يترجح هو القول الأول، لأنه  
سبحانه أخبر بوفاتين : كبرى وهي وفاة الموت ، ووفاة صغرى وهي وفاة النوم..  
الخ .

وقد دلّ على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحيّ يرى الميت في منامه  
فيستخبره، ويخبره الميت بما لا يعلم الحي، فيصادف خبره كما أخبر في الماضي  
والمستقبل، وربما أخبره بمالي دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه، وربما أخبره بدّين

عليه.. وذكر له شواهد وأدلة . وأبلغ من هذا أنه يخبر بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحد من العالمين، وأبلغ من هذا أنه يخبره أنك تأتينا إلى وقت كذا وكذا فيكون كما أخبر، وربما أخبره عن أمور يقطع الحي أنه لم يكن يعرفها غيره . وبعد أن أورد رؤى ومنامات قال (ص ٢٩) :

وهذا باب طويل جداً، فإن لم تسمح نفسك بتصديقه وقلت هذه منامات وهي غير معصومة فتأمل من رأى صاحباً له أو قريباً أو غيره فأخبره بأمر لا يعلمه إلا صاحب الرؤيا، أو أخبره بمال دفنه أو حذره من أمر يقع أو بشره بأمر يوجد فوقع كما قال... الخ .

ومما أوردته هنا أن أحدهم رأى أويس القرني في المنام فأرشده وقال له : ابتغ رحمة الله عند محبته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك .

ورأى آخر ميسرة بن مسلم فقال له : اتباع الآثار وصحبة الأخيار ينجيان من النار ويقربان من الجبار .

وقال في ص (٣٢) : وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده وإقباله على الآخرة عن منام رآه أو رُئي له ، وكم ممن استغنى وأصاب كنزاً دفيناً عن منام.. وهذا عبدالمطلب دُلَّ في النوم على زمزم وأصاب الكنز الذي كان هناك . قال : وأما من حصل له الشفاء باستعمال دواء رأى من وصفه له في منامه فكثير جداً، وقد حدثني غير واحد ممن كان غير مائل إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه رآه بعد موته وسأله عن شيء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فأجابه بالصواب . وقال في آخر هذه المسألة : وبالجمله فهذا أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها .

#### المسألة الرابعة :

وهي أن الروح هل تموت أم الموت للبدن وحده ؟

وبعد أن أورد قولين في هذا قال :  
والصواب أن يقال : موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها،  
فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تُعدم وتضمحل وتصير  
عدماً فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب ..  
ثم أورد فروعاً لهذه المسألة .

#### المسألة الخامسة :

وهي أن الأرواح بعد مفارقة الأبدان إذا تجردت بأي شيء يُمَيِّز بعضها من  
بعض حتى تتعارف وتتلاقى، وهل تشكل إذا تجردت بشكل بدنها الذي كانت فيه  
وتلبس صورته أم كيف يكون حالها ؟  
قال بعدها مباشرة :

هذه مسألة لا تكاد تجرد من تكلم فيها، ولا يُظفر فيها من كُتِبَ الناس بطائل  
ولا غير طائل، ولا سيما على أصول من يقول بأنها مجردة عن المادة وعلاقتها  
وليست بداخل العالم ولا خارجه ولا لها شكل ولا قدر ولا شخص. فهذا السؤال  
على أصولهم مما لا جواب لهم عنه، وكذلك من يقول هي عرض من أعراض  
البدن، فتميزها عن غيرها مشروط بقيامها ببدنها فلا تميز لها بعد الموت، بل  
لا وجود لها على أصولهم، بل تعدم وتبطل باضمحلال البدن كما تبطل سائر صفات  
الحي . ولا يمكن جواب هذه المسألة إلا على أصول أهل السنة التي تظاهرت عليها  
أدلة القرآن والسنة والآثار والاعتبار والعقل، والقول أنها :

ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب ونجى  
وتتحرك وتسكن . وعلى هذا أكثر من مائة دليل ....

وقال في آخر المسألة :

.... وتميز الروح عن الروح بصفات أعظم من تميز البدن عن البدن بصفاته .

ألا ترى أن بدن المؤمن والكافر قد يشتبهان كثيراً وبين روحيهما أعظم التباين والتميز . وأنت ترى أخوين شقيقين مشتهين في الخلقة غاية الاشتباه، وبين روحيهما غاية التباين . فإذا تجردت هاتان الروحان كان تميزهما في غاية الظهور . وأخبرك بأمر إذا تأملت أحوال الأنفس والأبدان شاهدته عياناً: قل أن ترى بدناً قبيحاً وشكلاً شنيعاً إلا وجدته مركباً على نفس تشاكله وتناسبه، وقل أن ترى آفة في بدن إلا وفي روح صاحبه آفة تناسبها . ولهذا تأخذ أصحاب الفراسة أحوال النفوس من أشكال الأبدان وأحوالها فقل أن تخطئ في ذلك ..

وقل أن ترى شكلاً حسناً وصورة جميلة وتركيباً لطيفاً إلا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له، هذا ما لم يعارض ذلك ما يوجب خلافه من تعلم وتدريب واعتياد .

#### المسألة السادسة :

وهي أن الروح هل تعاد إلى الميت في قبره وقت السؤال أم لا ؟

قال : فقد كفانا رسول الله ﷺ أمر هذه المسألة وأغنانا عن أقوال الناس ، حيث صرح بإعادة الروح إليه... ثم أورد حديثاً طويلاً رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه أوله ، وزواه أبو عوانة الإسفراييني في صحيحه .

وحتى يزيح بعض الإشكالات عن القارىء ضرب له مثلاً بقوله :

وإذا كان النائم روحه في جسده وهو حي وحياته غير حياة المستيقظ، فإن النوم شقيق الموت، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم تُرد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحي والميت، فتأمل هذا يزيل عنك إشكالات كثيرة .

ثم اختصر الجواب بإيراد قول شيخ الإسلام :

الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عودة الروح إلى البدن وقت السؤال، وسؤال البدن بلا روح قول قاله طائفة من الناس وأنكره الجمهور وقابلهم آخرون



فقالوا : السؤال للروح بلا بدن، وهذا قاله ابن مرة وابن حزم وكلاهما غلط،  
والأحاديث الصحيحة ترد، ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح  
اختصاص .

ثم قرع عن هذه المسألة مسألة أخرى وهي قول السائل :  
هل عذاب القبر على النفس والبدن أو على النفس دون البدن أو على البدن دون  
النفس ؟

وهل يشارك البدن النفس في النعيم والعذاب أم لا ؟  
قال :

مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ،  
وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو  
معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم  
القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين،  
ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى . ثم قال :  
أما أحاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ .

#### المسألة السابعة :

وهي قول السائل : ما جوابنا للملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر وسعته  
وضيقه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وكون الميت  
لا يجلس ولا يقعد فيه ؟

وأجاب على هذه الشبهة مطولاً، ولكن ذكر قاعدة جيدة نوردها هنا

(ص ٦٣) :

إن الله سبحانه جعل الدُّور ثلاثاً : دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار . وجعل  
لكل دار أحكاماً تختص بها ، وركَّب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام  
دار الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعاً لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على

ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أظهرت النفوس خلافه. وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هي التي تبأشر العذاب والنعيم. فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية والأبدان كالقبور لها. والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً. فأحيط بهذا الموضوع علماً واعرفه كما ينبغي يزل عنك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج.

وضرب لنا مثلاً أنموذجاً في الدنيا من حال النائم. فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلاً والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً، فيرى النائم أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ويذهب عنه الجوع والظما.

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويطش ويدافع كأنه يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح واستعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس، فإذا كانت الروح تتألم وتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستبعا فهكذا في البرزخ بل أعظم، فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً أصلاً..

#### المسألة الثامنة :

وهي قول السائل : ما الحكمة في كون عذاب القبر لم يذكر في القرآن مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ليحذر ويُتقى ؟

فأجاب ابن القيم أن الله تعالى أنزل على رسوله وحيين وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما : الكتاب والسنة . وقد ثبت عن الرسول ﷺ القول بعذاب القبر .

ثم بين أن نعيم البرزخ وعذابه المذكوران في القرآن في غير موضع، منها قوله تعالى عن آل فرعون :

﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ .

فذكر عذاب الدارين ذكراً صريحاً لا يحتمل غيره . ومنها :

﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾

#### المسألة التاسعة :

وهي في قول السائل : ما الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور ؟  
وأجاب على هذا السؤال مجملًا ومفصلاً :

أما المجمل فإنهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه .  
فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته وامثلت أمره واجتنبت نهيه ، ولا بدنًا كانت فيه أبدأ ، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده... الخ .

وأما الجواب المفصل فقد ذكر أنواعاً من الآثام التي ارتكبتها أصحابها فتؤدي بهم إلى العذاب.. من ذلك المشي بالهميمة وعدم الاستبراء من البول كما ورد في الحديث .

ومن عددهم ابن تيمية :

أعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ، والذي خوَّفته بالله وذكرته به لم يرهو ولم يتزجر ، فإذا خوَّفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه . والذي يُهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدي ولا يرفع به رأساً ،

فإذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطئ عضّ عليه بالنواجذ ولم يخالفه .  
والذي يُقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه وربما استقل به ، فإذا سمع (نداء) الشيطان  
ورقية الزنا ومادة النفاق طاب سرّه وتواجد وهاج من قلبه دواعي الطرب وودّ أن  
المغني لا يسكت ، والذي يحلف بالله ويكذب فإذا حلف بالبندق أو برىء من  
شيخه أو قريه أو سراويل الفتوة أو حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ،  
ولو هُدد وعوقب ، والذي يفتخر بالمعصية ويتكبر بها بين إخوانه وأضرابه وهو  
المجاهر .. الخ .

ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذّبين والفائز منهم  
قليل . فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات وعذاب ، ظواهرها بالتراب  
والحجارة المنقوشة مبنيات وفي باطنها الدود هي والبلبات تغلي بالحسرات كما تغلي  
القدور بما فيها ..

### المسألة العاشرة :

ما الأسباب المنجية من عذاب القبر ؟

جوابها أيضاً من وجهين :

بمجل ومفصل :

أما المجمل فهو تجنب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفعها أن  
يجلس الرجل عندما يريد النوم ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في  
يومه ، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله ، فينام على تلك التوبة ويعزم على أن  
لا يعاود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كل ليلة..

أما المفصل : فذكر أحاديث عن النبي ﷺ فيما ينجي من عذاب القبر . من  
ذلك : الحديث الذي رواه أبو موسى المديني وبين علته في كتابه الترغيب  
والترهيب وجعله شرحاً له وقال في آخره : هذا حديث حسن جداً .  
وهو عن عبد الرحمن بن سمرة قال :

« خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في صفة بالمدينة، فقام علينا فقال : إني رأيت البارحة عجباً ! رأيت رجلاً من أمتي أتاه مَلَك الموت ليقبض روحه فجاءه برّه بوالديه فردّ مَلَك الموت عنه . ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاء ذِكْرُ الله فطَيّر الشياطين عنه . ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم . ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً كلما دنا من حوض مُنِع وطُرد ، فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه . ورأيت رجلاً من أمتي ورأيت النبيّن جلوساً حلقاً حلقاً ، كلما دنا إلى حلقة طُرد ومُنِع ، فجاءه غُسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي . ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحيّر فيه ، فجاءه حجّه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور . ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشرها، فجاءته صدقته فصارت ستراً بينه وبين النار وظلاً على رأسه . ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلته لرحمه فقالت : يا معشر المؤمنين إنه كان وَصُولاً لرحمه فكلموه، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم . ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الزبانية، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة . ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب ، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل . ورأيت رجلاً من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه . ورأيت رجلاً من أمتي خفّ ميزانه فجاءه أَقْرَاطُهُ<sup>(١)</sup> فثقلوا ميزانه . ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم ، فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى . ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دمعته التي قد بكى من خشية الله سبحانه وتعالى فاستنقذته

(١) جمع فرط . والمراد بهم أولاده الذين ماتوا صغاراً .

من ذلك . ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يردد كما ترعد السعفة في ريح عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن رَوْعه ومضى . ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً ، فجاءته صلاته فأقامته على قدميه وأنقذته . ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغُلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة » .  
قال الحافظ أبو موسى : هذا حديث حسن جداً، رواه عن سعيد بن المسيب وعمر بن ذر وعلي بن زيد بن جدعان .

ونحو هذا الحديث مما قيل فيه إن رؤيا الأنبياء وحي، فهو على ظاهرها، لا كنعو ما روي عنه ﷺ أنه قال : رأيت كأن سيفي انقطع فأولته كذا وكذا .

#### المسألة الحادية عشرة :

وهي أن السؤال في القبر هل هو عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار أو يختص بالمسلم والمنافق ؟  
ووصل إلى أن القرآن والسنة يدلان على أن السؤال للكافر والمسلم . قال الله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ .  
وقد ثبت في الصحيح أنها نزلت في عذاب القبر حين يُسأل مَنْ ربك وما دينك ومن نبيك ؟

#### المسألة الثانية عشرة :

وهي أن سؤال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها ؟ منهم من قال : إنما سؤال الميت في هذه الأمة . وخالف آخرون وقالوا : السؤال لهذه الأمة ولغيرها ، وتوقف آخرون .

وقال المصنف : والظاهر والله أعلم أن كل نبي مع أمته كذلك، وأنهم معذبون في قبورهم بعد السؤال لهم وإقامة الحجة عليهم ، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة .

#### المسألة الثالثة عشرة :

وهي أن الأطفال هل يمتحنون في قبورهم ؟  
أورد المصنف قولين في هذا على التفصيل .

#### المسألة الرابعة عشرة :

هل عذاب القبر دائم أو منقطع ؟  
جوابها أنه نوعان :

نوع دائم سوى ما ورد في بعض الأحاديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين، فإذا قاموا من قبورهم قالوا : ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ .  
النوع الثاني : إلى مدة ثم ينقطع ، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه ، كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب . وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم..

#### المسألة الخامسة عشرة :

وهي أن مستقرّ الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة، هل هي في السماء أم في الأرض ؟ وهل هي في الجنة أم لا ؟ وهل تودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها فتنعّم وتعذب فيها أم تكون مجردة ؟  
قال المصنف : هذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها ، وهي إنما تتلقى من السمع فقط ، واختلف في ذلك ..

وبعد خمس وعشرين صفحة لحّص ما أورده فقال :  
فإن قيل فقد ذكرتم أقوال الناس في مستقرّ الأرواح ومأخذهم فما هو الراجح  
من هذه الأقوال حتى نعتقده ؟

قيل : الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت :  
فمنها : أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى ، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله  
وسلامه عليهم ، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء .  
ومنها : أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، وهي  
أرواح بعض الشهداء لا جميع ، بل من الشهداء من تُحبس روحه عند دخول  
الجنة لِذُنِّ عليه أو غيره كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش أن رجلاً جاء  
إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله مالي إن قُتلت في سبيل الله ؟ قال : الجنة .  
فلما ولى قال : إلا الذي سارني به جبريل آنفاً .

ومنها : من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الآخر : رأيت  
صاحبكم محبوساً على باب الجنة .

ومنها : من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلّها ثم  
استشهد فقال الناس : هنيئاً له الجنة ، فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده إن  
الشملة التي غلّها لتشتعل عليه ناراً في قبره .

ومنها : من يكون مقرّه باب الجنة كما في حديث ابن عباس : الشهداء على  
بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية .  
رواه أحمد . وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين  
يطير بهما إلى الجنة حيث شاء .

ومنها : من يكون محبوساً في الأرض لم تُغل روحه إلى الملأ الأعلى ، فإنها كانت  
روحاً سفلية أرضية ، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها  
في الدنيا ، والنفوس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبتة وذِكْره والأنس به  
والتقرب إليه ، بل هي أرضية سفلية ، لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك ، كما أن



النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب إليه والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها . فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما تقدم في الحديث، ويجعل روحه يعني المؤمن مع النسم الطيب أي الأرواح الطيبة المشاكلة، فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخواتها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك .

ومنها : أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد بل روح في أعلى عليين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض .

وأنت إذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب وكان لك بها فضل اعتناء، عرفت حجة ذلك، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضاً، فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضاً، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأناً غير شأن البدن وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء، وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً ، وأنها تنقسم إلى مرسله ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير، فهناك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة، وهنالك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق، وما أشبه حالها في هذا البدن بحال ولد في بطن أمه، وحالها بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار .  
ومما قاله في هذه المسألة (ص ١٠٤) .

وأنت ترى الرجل يسمع العلم والحكمة وما هو أنفع شيء له، ثم يمرّ بباطل وهو من غناء أو شبهه أو زور أو غيره فيصغي إليه ويفتح له قلبه حتى يتأدى له فيتخبط عليه ذلك الذي سمعه من العلم والحكمة، ويلتبس عليه الحق بالباطل. فهكذا شأن الأرواح عند النوم، وأما بعد المفارقة فإنها تعذب بتلك الاعتقادات والشبه الباطلة التي كانت حظها حال اتصالها بالبدن. وينضاف إلى ذلك عذابها

بتلك الإرادات والشهوات التي حيل بينها وبينها، وينضاف إلى ذلك عذاب آخر ينشئه الله لها ولبدنها من الأعمال التي اشتركت معه فيها، وهذه هي المعيشة الضنك في البرزخ، والزاد الذي تزود به إليه .

#### المسألة السادسة عشرة :

وهي : هل تنتفع أرواح الموتى بشيء من سعي الأحياء أم لا ؟  
فالجواب أنها تنتفع من سعي الأحياء بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير :  
أحدهما ما تسبب إليه الميت في حياته .

والثاني دعاء المسلمين واستغفارهم له والصدقة والحج .  
واختلفوا في العبادة البدنية، كالصوم، والصلاة، وقراءة القرآن، والذكر .  
فمذهب الإمام أحمد وجمهور السلف وصولها، وهو قول بعض أصحاب أبي حنيفة. والمشهور من مذهب الشافعي ومالك أن ذلك لا يصل .  
وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام أنه لا يصل إلى الميت شيء ألبتة لا دعاء ولا غيره .

ومما أورده في هذه المسألة :

فإن قيل فما الأفضل أن يهدى إلى الميت ؟

قيل : الأفضل ما كان أنفع في نفسه . فالعتق عنه والصدقة أفضل من الصيام عنه، وأفضل الصدقة ما صادفت حاجة من المتصدق عليه وكانت دائمة مستمرة .  
ومنه قول النبي ﷺ : « أفضل الصدقة سقي الماء » . وهذا موضع يقل فيه الماء ويكثر فيه العطش، وإلا فسقي الماء على الأنهار والقنى لا يكون أفضل من إطعام الطعام عند الحاجة، وكذلك الدعاء والاستغفار له إذا كان بصدق من الداعي وإخلاص وتضرع، فهو في موضعه أفضل من الصدقة عنه كالصلاة على الجنائز والوقوف للدعاء على قبره .

وبالجملة فأفضل ما يُهدى إلى الميت العتق والصدقة والاستغفار له والدعاء له والحج عنه .

وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجره فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج .

ثم ناقش المعارضين بإسهاب اعتباراً من (ص ١٤٢) .

### المسألة السابعة عشرة :

وهي : هل الروح قديمة أو محدثة مخلوقة ؟

وإذا كانت محدثة مخلوقة وهي من أمر الله فكيف يكون أمر الله محدثاً مخلوقاً ؟ وقد أخبر سبحانه أنه نفخ في آدم من روحه، فهذه الإضافة إليه هل تدل على أنها قديمة أم لا ؟ وما حقيقة هذه الإضافة ؟ فقد أخبر عن آدم أنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه فأضاف اليد والروح إليه إضافة واحدة؟؟

قال : فهذه مسألة زلّ فيها عالم، وضلّ فيها طوائف من بني آدم، وهدى الله أتباع رسوله فيها للحق المبين والصواب المستبين، فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة .

ثم أورد أدلة خلقها من اثني عشر وجهاً، وأجاب على الأسئلة الباقية وناقش أصحابها .

ويجدر بنا أن نورد ما ذكره في هذه المسألة عند تعرّضه لقوله تعالى : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ التي قد تخفى على كثير من الناس..

قال في (ص ١٥١) : وفي ذلك خلاف بين السلف والخلف، وأكثر السلف بل كلهم على أن الروح المسؤول عنها في الآية ليست أرواح بني آدم.. بل هو الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة، وهو ملك عظيم..

وعندما أورد الحديث الذي فيه سؤال اليهود للرسول ﷺ عن الروح قال : ومعلوم أنهم عندما سألوه عن أمر لا يُعرف إلا بالوحي، وذلك هو الروح

الذي عند الله لا يعلمها الناس . وأما أرواح بني آدم فليست من الغيب، وقد تكلم فيها طوائف من الناس من أهل الملل وغيرهم، فلم يكن الجواب عنها من أعلام النبوة.. ثم أسهب في التعليل والمناقشة .

وقال في (ص ١٥٣) :

والروح في القرآن على عدة أوجه :

أحدهما : الوحي، كقوله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ .  
والثاني : القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من يشاء من عباده المؤمنين، كما قال : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ .

الثالث : جبريل، كقوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ .

الرابع : الروح التي سأل عنها اليهود فأجيبوا بأنها من أمر الله ، وقد قيل إنها الروح المذكورة في قوله تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون... ﴾ وأنها الروح المذكورة في قوله : ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم... ﴾ .

الخامس : المسيح ابن مريم، قال تعالى : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله . وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ .

#### المسألة الثامنة عشرة :

وهي تقدّم خلق الأرواح على الأجساد أو تأخر خلقها عنها .

قال : فهذه المسألة للناس فيها قولان معروفان، حكاهما شيخ الإسلام وغيره .  
ثم أورد أدلة القولين، وناقش من قال إن الروح متقدمة على خلق البدن، وأورد الأدلة الكافية على أن خلق الأرواح متأخر عن خلق أبدانها .

#### المسألة التاسعة عشرة :

وهي : ما حقيقة النفس : هل هي جزء من أجزاء البدن، أو عرض من أعراضه، أو جسم مُساكن له مودع فيه، أو جوهر مجرد ؟ وهل هي الروح أو غيرها ؟

قال :

الجواب أن هذه مسائل قد تكلم الناس فيها من سائر الطوائف، واضطربت أقوالهم فيها وكثر فيها خطئهم، وهدى الله أتباع الرسول وأهل سنته لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ..  
وهذه المسألة من أطول المسائل.. وقد يكون الإيجاز فيها مخلاً لكثرة الأقوال ومناقشتها.. فليرجع إليها هناك .

### المسألة العشرون :

وهي : هل النفس والروح شيء واحد أو شيان متغايران ؟  
يَبين المصنف أن مسماهما واحد وهو قول الجمهور .  
قال : فسميت النفس روحاً لحصول الحياة بها، وسميت نفساً إما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها، وإما من تنفس الشيء إذا خرج، فلكثره خروجها ودخولها في البدن سميت نفساً، ومنه النَّفس بالتحريك .  
ثم قال : فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات .

### المسألة الحادية والعشرون :

وهي : هل النفس واحدة أم ثلاث ؟  
فقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس :  
نفس مطمئنة ونفس لوامة ونفس أمارة .  
وأن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه الأخر، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ﴾ ويقول تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴾ ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ .

والتحقيق أنها نفس واحدة، ولكن لها صفات، فتسمى باعتبار كل صفة :  
فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبه والإجابة إليه.. الخ  
ومما أورده في هذه المسألة :

فإن طمأنينة القلب سكوته واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب  
عنه، وهذا لا يتأتى بشيء سوى الله تعالى وذكره ألبتة ؛ وأما ما عداه فالطمأنينة إليه  
غرور والثقة به عجز، قضى الله سبحانه وتعالى قضاء لا مرد له أن من اطمأن إلى  
شيء سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته كائنًا من كان، بل لو  
اطمأن العبد إلى علمه وحاله وعمله سلبه وزايله ..  
ومما قاله أيضاً :

ولو فتش العاصي عن قلبه لوجد حشود المخاوف والانزعاج والقلق  
والاضطراب، وإنما يوارى عنه شهوة ذلك سُكْرُ الغفلة والشهوة، فإن لكل شهوة  
سكراً يزيد على سكر الخمر، وكذلك الغضب له سكر أعظم من سكر الشراب .  
ولهذا ترى العاشق والغضبان يفعل ما لا يفعله شارب الخمر ..

ثم تحدّث عن النفس اللوامة والأمانة :  
واللّوامة مأخوذة إما من التلوم وهو التردد، فهي كثيرة. التقلب والتلون . أو  
أنها مأخوذة من اللوم .

ومما قاله عن الأمانة (ص ٢٢٩) :

من أعجب أمرها أنها تسخر العقل والقلب فتأتي إلى أشرف الأشياء وأفضلها  
وأجلّها فتخرجه في صورة مذمومة . وأكثر الخلق صبيان العقول أطفال الأحلام،  
لم يصلوا إلى حدّ العظام الأول عن العوائد والمألوفات فضلاً عن البلوغ الذي يميّز  
به العاقل البالغ بين خير الخيرين فيؤثره وشرّ الشرّين فيجتنبه ..

ثم أورد أمثلة مما تبديه النفس الأمانة وتلبس على العبد أحد الأمرين بالآخر  
فيتباين الفعلان ويشتهان في الظاهر . ولذلك أمثلة كثيرة، منها المداراة والمداهنة..  
الخ .

وهذه المسألة من أكثر ما ينتفع به ولن تجد له مثلاً في كتب أخرى .  
وهذه مقتطفات قليلة منها :

(ص ٢٣٢) : وكان بعض الصحابة يقول : أعوذ بالله من خشوع النفاق . قيل له : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن يُرى الجسد خاشعاً والقلب غير خاشع ..  
(ص ٢٣٤) : وأما المهانة فهي الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السُّفُل في نيل شهواتهم، وتواضع المفعول به للفاعل، وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه . فهذا كله ضعة لا تواضع . والله سبحانه يحب التواضع ويغضض الضعة والمهانة .

(ص ٢٤٤) : وفي أثر معروف : إذا رأيت الله سبحانه وتعالى يزيدك من نعمه وأنت مقيم على معصيته فاحذره فإنما هو استدراج يستدرجك .

(ص ٢٥٠) : فالجزع حال قلب مريض بالدنيا قد غشيه دخان النفس الأمارة فأخذ بأنفاسه وضيق عليه مسالك الآخرة وصار في سجن الهوى والنفس، وهو سجن ضيق الأرجاء مظلم المسلك . فانحصار القلب وضيقه يجزع من أدنى ما يصيبه ولا يحتمله . فإذا أشرق منه نور الإيمان واليقين بالوعد وامتلاً من محبة الله وإجلاله رقاً وصارت فيه الرأفة والرحمة ، فتراه رحيماً رقيق القلب بكل ذي قرى ومسلم، يرحم التملة في جحرها والطير في وكره فضلاً عن بني جنسه .

(ص ٢٥٣) : علامة الحب في الله والبغض في الله ....

إنه لا ينقلب بغضه لبغض الله حباً لإحسان (المرء) إليه وخدمته له وقضاء حوائجه، ولا ينقلب حبه لحب الله بغضاً إذا وصل إليه من جهته ما يكرهه ويؤلمه إما خطأ وإما عمداً ..

(ص ٢٥٧) : وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، فإما إلى غلو ومجاوزة وإما إلى تفریط وتقصير . وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلف رسول الله ﷺ وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به .. وهذان المرضان الخطران قد استوليا على أكثر بني آدم . ولهذا حذر السلف منهما أشد التحذير ..

وفي (ص ٢٦٠) ذكر أن ختام كتابه هو في هذا الفصل المهم.. قال :  
« ولا تستطل هذا الفصل فلعله من أنفع فصول الكتاب، والحاجة إليه  
شديدة . فإن رزقك الله فيه بصيرة خرجت منه إلى فرقان أعظم منه، وهو الفرق  
بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين، والفرق بين تنزيه الرسل وتنزيه أهل  
التعطيل..» الخ .

ومما قاله في (ص ٢٦٥) :

إذا رأيت الرجل يحب السماع الشيطاني... ويدعو إلى ما يحبه الشيطان من  
الشرك والبدع والفجور علمت أنه من أوليائه، فإن اشتبه عليك فاكشفه في ثلاثة  
مواطن : في صلاته ومحبه للسنة وأهلها ... ودعوته إلى الله ورسله وتجريد  
التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة، فزنه بذلك لا تزنه بحال ولا كشف ولا خارق ولو  
مشى على الماء وطار في الهواء..

ونختم هذه المقتطفات بما ورد من شعر عن أولياء الرحمن (ص ٢٦٥) :

برئنا إلى الله من معشر	بهم مرض مورد للضنا
وكم قلت يا قوم أنتم على	شفا جرف من سماع الغنا
فلما استهانوا بتنبيهنا	تركنا غويًا وما قد جنا
وهل يستجيب لداعي الهدى	غويًا أصر الغنى ديدنا
فعضنا على ملة المصطفى	وماتوا على ثأرتنا ثأنا

\* \* \*



# الفهرس

صفحة

٣	..... مقدمة
٩	..... آداب المؤاكلة لبدر الدين الغزري
١٥	..... فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب لمحمد بن المرزبان
١٩	..... من نسب إلى أمه من الشعراء لمحمد بن الحبيب
٢١	..... حدائق النمام في الكلام على ما يتعلق بالحمام لأحمد الحيمي
٣٥	..... المردفات من قریش لأبي الحسن المدائني
٣٩	..... تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه للفيروز ابادي
٤١	..... عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري
٥٥	..... المراح في المراح لبدر الدين الغزري
٦١	..... التبري من معرة المعري للسيوطي
٦٥	..... المختار في كشف الأسرار للجوهرى
٧٥	..... المعجم في بقیة الأشياء لأبي هلال العسكري
٨١	..... خطبة واصل بن عطاء التي تجنب فيها الرءاء
٨٥	..... من توفي عنها زوجها فأظهرت الغموم وباحت بالمكتوم لابن المرزبان
٨٩	..... الروح لابن قيم الجوزية
١١١	..... الفهرس